رواية

الخائن

أحمد عثمان



تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب





مستوحاة من أحلام واقعية



الإهداء

إليها (هي) من علمتني الخيانة



«الخائن» كانت لوحته الأهم في هذا المعرض والتي كان «نور» يتباهى برسمها بريشته الجريئة، وفي تلك اللحظة تأكد من فحواها، فلم تكن إلا انعكاسًا لأفعاله؛ إذ فيها دوَّن مشاعره المتناقضة من متعة تولدت من رحم الآلام والمعاناة، احتياج مصحوب بنقص يُذل الضمير الذي يُكافح للاستيقاظ، دمعت عيناه وهو يرمق ما رسمت يداه الشاهدة على ما فعله، فلقد صار خائنًا محترفًا.

وسط معرض لوحاته وقف في ندم يندهش من سماعه صوت زوجته «ذكرى» تهمس داخل عقله.

«أنا آسفة يا «نور».. النهاردة أنا مضطرة أكتب نهاية قصتنا»

التفت هو يمنة ويسرة يبحث عنها في كل مكان، ولكنها لم تكن هناك، بل إنها قابعة -فقط- في خيالاته، وغريمه هذا الذي استغل ضعفه ليبث له سمومه، ويقصَّ عليه الحقائق المؤلمة، حاول عقله المريض رفضها في البداية، ولكن ليس اليوم كالبارحة، فلم يعد يستطيع إنكار الحقائق، وقد يكون اليوم هو الأخير لقصته بالفعل. ترك «نور» معرضه الفني وأسرع مهرولًا ليتحقق مما تجاهل، فلم يقص غريمه الحقيقة كاملةً بل ترك لعقله المجال للإبداع، توجه إلى بيته متوترًا، متمنيًا أن يمنحه الخالق فرصة أخرى، كان يريد تسويغ الكثير والكثير لزوجته. لحظات مرت كالدهر وهو يحاول الاتصال بها علَّه يُكذِّب ما كان يعرفه بالفعل! مكالمة تلو الأخرى دون أيِّ ردٍّ، بينما كانت زوجته «ذكرى» في عالم آخر لا تستطيع الإجابة، فلقد سطرت بيدها حروف نهاية قصتها، حين دونت



حكاية شهورها الأخيرة داخل تلك الأجندة الحمراء الساحرة، من داخل غرفتها وحيدة كعادتها، بعد ما علمت مؤخرًا من حقيقة وحاولت إخفاءها عن الجميع، لتتألم وحيدة، فلقد كانت دومًا تؤثر الجميع على نفسها، لأجلهم عاشت ولهم تمُوت، سطرت «ذكرى» رسالتها الأخيرة داخل أجندتها وأغلقتها دامعة الأعين لتروي بدموعها حروف قصتها، التي حملت عنوان «حكاية حلم واقع!» تلك القصة التي روت فيها كل ما عاشته حالمة حتى انتهت بواقع أليم وخيانة حرة!

وصل «نور» إلى عقاره، فصفَّ سيارته في منتصف الطريق، ثمَّ ترجَّل مسرعًا، ليهرع إلى الداخل، لم يستطع انتظار المصعد.. صعد طابقًا طابقًا ـ لاهثًا ـ تلاحقت أنفاسه -بدايةً- ثم أخذت تخبو شيئًا فشيئًا حتى كادت أن تتوقف نبضات قلبه، فلقد كان متألمًا مما فعل بنفسه، كان مستعدًا بالفعل للتغيُّر لسبب ما جهله حينها، فتح باب شقته بصعوبة، وكالمجنون اندفع باحثًا عنها في كل مكان، حتى توقف أخيرًا أمام غرفة نومهما، كان يعلم أنها لا تزال بالداخل وقد كانت! بخطواتٍ مرتجفةٍ أخذ يدنو مترقبًا.. يمدُّ يده المرتعشة فاتحًا هذا الباب الذي لن يستطيع إقفاله بعد اليوم، فتمتدُّ معهُ الحقيقة التي وجدها بالداخل ما امتدَّت به الأيَّام، طالت أم قَصُرَت، إنَّها الحقيقة التي لم يعد عقله يقوى على إنكارها، فلقد كان بالفعل «حلم واقع»!

***



(٠١)

من قبل بضعة أسابيع كان «نور» غارقًا بين أحضان تلك الفاتنة، يتلذذ بتذوق ما طاب له من كل ما تمتلكه بين جنباتها، إذ كان هذا ما يفتقر إليه، أو هكذا كان يظنُّ! كانت بالفعل فاتنة، بل ساخنة، تستطيع ترجمة كل مشاعره إلى أفعال، تناغم قوي بين الجنس والمشاعر، وكأن قلبه صار مصدر ذكورته، شعور متجانس يرضي كبرياءه، ويملأ نقصه، شعور لم ينتبَه له من قبل، فهو ملك تلك اللحظة، بل وملك تلك الأنثى، بل وملك العالم، قمة النشوة التي يصل فيها المرء للسماء، اللحظة التي لا يشتريها بمال، ولا تضاهيها متعة، هي أبعد من أي نجاح، وأثمن من أي مال، كانت تعلم علته، وكانت تعلم حاجته، وقد كانت صادقة؛ لذا وصل إليه شعورها، فلم تكن رخيصة كما ظنت، فكانت تلك اللحظة ملحمية بطلتها الحاجة الإنسانية إلى شريك يستطيع كل منهما التعري أمام الآخر دونما قيد أو شرط، (فقط) ليمتع كل منهما شريكه، فهل هناك ما هو أسمى من ذاك!

وصل «نور» إلى ذروته، ليرتعش بدنه رعشة أظهرت ضعفًا أخفاه أمام الجميع، عداها في تلك اللحظة، ليظل قلبه ينبض في تصاعد ممزوج براحة انسيابية.. تضمه إلى صدرها لتهدئته كالطفل، تربت على كتفه وتمسد خصلات شعره، هامسة في أذنه كالرضيع، فيستسلم لها مرة أخرى، قائلًا:

- بحبك بعشقك..

ابتسمت ـ سرورًا ـ وهي تضيء بأناملها الرقيقة الأباجور لتُمْعِنَ



في ملامحه، كان «نور» ثلاثينيًا، مصري الملامح، وسيمًا إلى حد معقول، قمحي البشرة أسود الشعر كثيفه، ذا لحية خفيفة، متوسط الطول ورشيق الجسد.

- بجد يا «نور»!!

نظر إليها بعينيه العسليتين وهو يلامس بيديه بشرة وجهها، يمررهما على نعومة جبينها وخديها الحريريين ملمسًا، فلقد كان مولعًا بليونة بشرتها النَّضِرة المليئة بالحياة.

- بتسألي يا «عشق»؟!! ده أنا في حياتي ما كنت كده.

تبسَّمت بخجلٍ بين ذراعيه.. تلك السمراء الثلاثينية طويلة القامة، هادئة الملامح وإن كانت تمتلك جاذبية صارخة، خاصة شعرها الناعم الطويل أسود اللون، حال عينيها اللتين تخفيان عُمقًا يغرق الناظرين، توغلت «عشق» داخل الغطاء الذي يكسو عورتيهما لتقول:

- أنا اللي يهمني قلبك.

التفَّ في أحضانها، ليضطجع على جنبه مُعطيًا إياها ظهره شاخصًا ببصره إلى الأعلى، بينما لا زالت هي -من خلفه- تتشبث به بين ذراعيها محتضنة إياه، قد أرسلت بصرها يرافق نظراته إلى السقف المرتفع وهي تتلمَّس صدره تجس ما صَلُبَ وقسا من عضلاته بكفيها تداعب صدره فركًا وتدليكًا:

- هو لو مش معاكي قلبي، كنتي هاتبقي معايا على سرير واحد؟!

أنا مش زي غيري يا «عشق».



- عارفه يا حبيبي، وعشان كده حبيتك دون الناس كلها.

- طيب يبقى بتسألي ليه كل شويه؟

قالها وهو يبتعد عنها ليضيء بقية المصابيح، فيظهر المكان تدريجيًا، حيث كانت الغرفة هي مرسم «نور»، مجرد استوديو من فراغ وحيد، يضم غرفة ومطبخًا صغيرًا واستراحة بمرسم، خالية من أيِّ أبواب عدا باب زجاجي يفصله عن الحمام خلف سريرهما، ظهر انزعاج «عشق» من الإضاءة المُبهرة، وهي تقول:

- عشان خايفه تكون بتكدب على نفسك.

بدا الاستياء على «نور» وقد نهض عاريًا ناحية طاولة المطبخ الصغير، ليعد قهوته، قبل أن تنهض من سريرها -مُجرَّدةً- هي الأخرى، بعدما أزاحت الغطاء من فوقها متناسية تعريها، فبادرت إلى قميصه الملقى على الكرسيّ بجانبها ترتديه مزيدة من جاذبيتها المثيرة، ثم قصدته فاتحةً ذراعيها لتضمَّه بعدما أبرزت حزمة شعرها لترسله حرًّا من داخل ياقة قميصه الذي ابتلع معظم جسدها الرشيق وهي تضمُّه بقوَّةٍ من خلفه، بينما تشبُّ على أصابع قدميها مُلقيةً صدرها على ظهره:

- من كتر ما حبيتك يا «نور» خايفه تضيع مني... أنا يا «نور» عمري ما حبيت حد زيك قبل كده!!

- طيب وهو اللي بيحب حد ينكد عليه كده كل شويه؟!

بسخط تركته غاضبة وتوجهت إلى الحمام:

- أنا مش نكديه يا «نور»!



- خلاص يا سيتي أنا اللي نكدي..

قالها وقد أعد قهوتيهما ليضعها عند منضدة وضعت بجانب السرير بديلًا عن الكمود العادي، فلم يكن أي ما في هذا الفراغ عاديًا، ثم توقف من خلفها خارج الحمام.

- بس مش معقوله الأسطوانه دي كل ما نبقى سوا يا «عشق»، أنا مش عارف إنتي بتشككي فيا ليه؟! مع إنك أكتر واحده عارفاني في الدنيا دي.

التفتت إليه قائلة في اتهام واضح:

- ما هو عشان عارفاك خايفه تكون بتضحك على نفسك يا «نور».

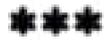
دخل، فدنا منها، ثمَّ عمد إليها يضمها بِحُنُوٍّ مُطَمْئِنٍ قائلًا:

- يا «عشق» أنا قبل ما أعرفك كنت تايه، مش عارف أنا فين، لغاية ما ظهرتي ليا، ولاقيتك عارفاني، عارفه عني كل حاجه.

قالها بصدق ثم سكت لحظة قبل أن يتساءل بصوتٍ عالٍ:

- أنا أحيانًا بخاف منك يا «عشق»، من كتر ما انتي عارفاني، بحس زي ما تكوني مراقباني!

كانت «عشق» بالفعل تعرف عنه الكثير، تعرفه أكثر من نفسه فلم يكن -أبدًا- صيدًا سهلًا، بل كان حلم عمرها الذي تمنَّت أن يتحول إلى واقع..





من داخل منزل عديل «نور» وصديق عمره «ماهر» كان الأخير لا يزال ينتظر قدوم «نور»، حال الجميع في ضيق، ظل «ماهر» يحاول الاتصال بهِ هاتفيًا دون جدوى، وهو جالس على أحد مقاعد منضدة الطعام الكلاسيكية، حال كل بيت، أخذ «ماهر» يأكل من المأكولات والحلويات الكثيرة الموضوعة على المنضدة، فلقد كان اليوم احتفالًا خاصًا بعيد ميلاد حميهما، وقف «ماهر» يائسًا، فظهر طول قامته، واهتمامه بمظهره، فهو رياضي، حليق الذقن، أسمر البشرة، ذو شعر قصير، يرتدي بذلته السوداء كعادته:

- ماعرفتش توصلّه برضه؟

قالتها زوجته «دلال» وقد دخلت للتو، وهي عشرينية هادئة، بيضاء البشرة قصيرة القامة والشعر ذهبي اللون.

- ماتخافيش، ماتخليهمش يتضايقوا بس، وأنا هانزل وهاعرف أجيبه.

قالها وهو يشير إلى والدها الدكتور «فضل» الأصلع الستيني الجالس بجانب أخته «إنتصار» ذات الحجاب الوقور والتي هي والدة «نور»، فلقد كان «نور» متزوجًا من «ذكرى» التي كانت في الأصل ابنة خاله الوحيد «فضل»، قبل أن يتزوج «ماهر» صديقه الوحيد من «دلال» ابنة خاله الثانية والأخت الصغرى لزوجته.

- ما هو البيه مابيردش على تليفوناتنا يا «ماهر».

- خلاص بقى، أنا عارف ألاقيه فين كويس.

قالها وهو يتجهز للخروج، فاستوقفته في هجوم.



- ليه إن شاء الله؟! هو إنت بتسهر معاه!!!

بخوف تساءلت، فلقد كانت سمعة «نور» مؤخرًا في انحدار؛ الأمر الذي أفقده مصداقيته بين الجميع رغم حبهم إياه.

- يا حبيبتي بلاش الهبل ده، إنتي عارفه جوزك كويس، المهم إنتي بس غطيني نص ساعه وأنا هارجعلك بيه.

- طيِّب خلاص، إنزل بسرعه وأنا هاحاول ألم الموضوع معاهم، ربنا يستر.

- هايستر ماتخافيش.

قالها «ماهر» منسحبًا دون أن يلاحظه إلا «فرح» ابنة «نور» الوحيدة ذات السنوات الست وقد بدا عليها الحزن!

وصل «ماهر» إلى سيارته الفارهة، بينما يكرر الاتصال بصديقه «نور»:

- ما ترد بقى، الله يحرقك.

ظهر اسم «ماهر» دون صوت على شاشة هاتف «نور» الذي سجله باسم «الدكتور»، إذ كان «ماهر» بالفعل طبيبًا بشريًا، ظل الهاتف يرن دون صوت، من على منضدة جانبية للسرير، حالما لمحته «عشق» تأكدت من إبعاده الهاتف قبل أن تتوجه إليه وهو جالس بين لوحاته أمام مطبخه الصغير في ركن اِتَّخذ منه مرسمًا، لتشعل له سيجارة تناولها من أصبعها.

- يعني حبك ليا مش مجرد احتياج؟

- وهو الاحتياج وحش؟ الاحتياج ده أعظم حاسه في البشريه،



هي اللي بتخلينا نعرف اللي إحنا عايزينه ونروحله.

بشيطانية لا تتماشى معه قالها، لتقترب بدلالٍ متساءلة:

- وإنت عايز توصل لحد فين؟

بثقة أجاب:

- المأذون يا روحي.

- بس أنا مش عايزه مأذون يا «نور».

تقولها وهي تتحرك مبتعدةً قليلًا، لتقف أمام مرآة لتُعدِّل من هيئتها.. بعض ملامحها ومكياجها، وتهندم قميصها ويلتقم باطن كفيّها مقدمتي ثدييها تُوَازِنُ بينهما ضابطة حمالة صدرها.. يحلق بها مندهشًا:

- مش فاهم!

عبر المرآة نظرت إليه شارحةً:

- أنا عايزاك إنت بس يا «نور»، ومش عايزه مشاكل، أنا عارفه ظروفك وفاهماها، كل اللي عايزاه ورقتين عشان تبقى حلالي قدام ربنا.

ازداد اندهاشًا... لم يتمالك نفسه فاندفع إليها يلتفُّ حولها، محيطًا إياها حتى اختفت في داخله لا يبدو غير رأسها وهو يحتضنها من الخلف.

- إنتي إزاي كده؟!

- من غير إزاي يا «نور»، أنا مش عايزه أخش حرب أنا مش قدها، أنا عندي أشوفك يوم في الشهر العمر كله أحسن



ماتضيع مني.

سكتت لحظة، ثم تابعت قائلة إليه:

- إنت ماتتعوضش يا «نور» صدقني، إنت أنضف إنسان أنا شوفته في حياتي.

مرتابًا تتغير نظرته وهو يشعر بسوء فعله لحظة، ثمَّ هرب بنظره عنها، لتتفهم هذه المشاعر، استلمت وجهه -بعدما أشاح عنها- بكلتا يديها معيدةً إياه قبالة وجهها تحدق في عينيه، تنبئه سهام نظراتها أنها تدرك تمامًا قياسات أعماق وأبعاد كلِّ ما تنطوي عليه شخصيته.

- بصلّي هنا وبلاش النظره دي، أنا فاهماها كويس، إنت عارف إنك من جواك أنضف إنسان.. بس زي ما قلتلي: الاحتياج.. الاحتياج مش بإدينا، الاحتياج ده أعظم حاسه في البشريه... صح؟

ازدادت دهشته وهو يثير تساؤله عن علاقتها الأولى:

- أنا حقيقي معرفش اللي كان متجوزك ده طلقك إزاي!

- خلاص آهو راح لحاله، وكلها شهر بالتمام والكمال، والعدة تخلص.

- وتبقي بتاعي قدام ربنا.

ومن ثَمَّ -وبشيطانية- تتبسَّم قبل أن تسمع طرق الباب فتتوتر، ليهدئها قائلًا:

- ده أكيد «ماهر» عديلي.



- طب هاتفتحله إزاي وأنا هنا؟!!

بهلع تساءلت، فأجابها مطمئنًا:

- يا «عشق» ماتخافيش «ماهر» ده صاحب عمري من قبل ما نتجوز، هاعرفك بيه عادي.

- إيه اللي عادي يا «نور»؟!! لو سمحت، إنت لو مش خايف على علاقتنا، أنا خايفه عليها.

- طيب خلاص خلاص ماتخافيش، إستنني.

جردها من القميص مُلتقطًا إياه من على كتفيها تاركًا إياها عارية قبل أن يقبلها وهو يبحث عن بنطاله الكتاني، تحرَّك حافيًا إلى الباب، وهي على إثره قد ارتدت منشفة حول خصرها ووقفت في الحمام الذي لا يفصله عن الغرفة إلا باب زجاجي، يكشف أكثر مما يستر. وحالما توجه نور إلى الباب سارعت هي إلى أريكة ليست بالبعيدة وهي عارية متعمدة ألا تكمل لباسها حتى لا تمنعه من استقبال الزائر.

فتح هو الباب بابتسامة لـ»ماهر» الذي مكث واقفًا في الخارج مبتسمًا هو الآخر، ظلَّ كلاهما هكذا للحظات قبل أن يضحكا سويًا متفهمين الموقف، ثمَّ جعل يقول ساخرًا:

- إنت حلال فيك اللي خالك هايعمله فيك.

تذكر «نور» للتو:

- خالوو.... نهار اسود!.. استنناني لحظه هاتحزم وأجيلك.

بسخرية قالها، مشيرًا بسبابته وهو يدخل قبل أن يعود بسرعة



في نفس اللحظة قائلًا:

- إوعى تخش!!

- ههه، يا عم إنت شايفني عايز أمسكلك الفوطه يعني؟ يالّا انجز!!

دخل «نور» مرة أخرى مغلقًا الباب في وجه «ماهر» وتوجه إلى هاتفه ليمسكه وهو يرتدي حذاءه، ثم توجه إلى «عشق» ليقبلها قبلةً عميقة.

- أنا لازم أمشي يا روحي!!

كنت ناسي عيد ميلاد حمايا...

- مايهمكش يا روحي، أنا هاوضبلك المكان عشان لو جيت قبلي بكره.

ابتسم «نور» وقال:

- وبتسأليني بحبك ولا لأ!!

قالها وخرج، بينما بدأت «عشق» بالفعل في تنظيف المكان قليلًا، حتى توجهت إلى اللوحات الموضوعة في المرسم، خاصة تلك اللوحة الموضوعة على حاملٍ، لتنظر إليها بنظرة غريبة، فلقد كانت تلك اللوحة لغريمتها «ذكرى»، التي كانت في عالمها الآخر تكتم آلامها...

***

من غرفتها الكلاسيكية التي تعكس ذوقها الرفيع، كانت «ذكرى» تجلس على أريكتها المفضلة في ذاك الركن



المخصص للتلفاز، ممسكة بهذا التقرير الطبي الذي تسلَّمته من طبيبها اليوم، في حين لم تكن بحاجة إلى الكثير من التوضيح لتفهم حالتها، فهي طبيبة بشرية ناجحة، ورثت علمها من أبيها الذي ورث علمه من جدها، فهم عائلة طبيَّة بالمقام الأوَّل، نجحت في إخفاء ما عرفته عن الجميع معتزلةً إياهم، لتظل في غرفتها وحيدة الآن، يجهل الجميع علَّتها، نهضت متجهةً ناحية ركن آخر مخصص لها وضع فيه مكتب يخصها من أمام شرفة تطل على حديقة العقار، جلست والهم يثقل ملامحها ويذبل جمالها، لتظهر شاحبةً وإن كانت فاتنة إلى أبعد الحدود، شقراء، أرستقراطية، فرنسية القوام، تتميز بعينين خضراوين تسحر الناظرين، وتخلب لُبَّ عقولهم، تداريهما خلف نظارتها الطبية السوداء، وضعت تقريرها الطبي المصحوب بالكثير من التحاليل، وبهدوء فتحت حاسوبها الخاص، لتعمل الموسيقى تلقائيًا، حتى بدأت المطربة المشهورة «أحلام» في الغناء، فتبتسم -متعجبةً- من سخرية القدر، فلقد كانت تلك المطربة التي أحيت حفل عرسها منذ بضع سنين، ولتتذكره من فورها، فتتجه داخل ملفاتها بحثًا عن ذلك اليوم الذي كانت تظنه أسعد أيامها، وبسهولة تعثر عليه فتشغِّله، إنَّه ذلك العُرس الصَّاخب الذي كان يخفي الكثير من أسرارٍ كانت تجهلها حينها.

***

منذ تسع سنوات كان الجميع سعيدًا في الفرح البهيج، وهم يشهدون على قلبين ينعقد اجتماعهما بعد سنوات من التعلق، يشاهدون صور «نور» و»ذكرى» منذ طفولتيهما، عكست



الصور نشأتهما، فلقد ترعرعا سويًا منذ البداية، ليحبا بعضهما البعض بديهيًا، تَيَقَّنَ الجميع أنهما خُلقا لبعض من الوهلة الأولى، كان «نور» بالفعل لِ»ذكرى» حياة، كما لا تزال هي له الدنيا، كان هو -عكس عائلتهم- شغوفًا ملهمًا، لا يهتم -فقط- بالمادة، بل حالمًا، حال والده الذي عُرف عنه حبه لكل فن، إلا أنه لم يحترف أيًا منه، واكتفى بهواية الفوتوغرافيا التي وثق فيها كل لحظات العائلة التي عُرضت للتو في الفرح الذي غيَّبه الموت عن حضوره، تاركًا لابنه تجارةً ظلَّ «نور» يشرف عليها دون شغف، حيث هوى الفن التشكيلي كما أحبت «ذكرى» الكتابة، ولكن كل منهما أدار شغفه باختلاف، حيث أهملت هي هبة خالقها، وتفرغت لإدارة مستشفى والده «فضل»؛ الأمر الذي أدى بالطبع إلى نجاحها، عكس «نور» الذي ظل حبه للفن التشكيلي يعيق إدارته لمعارض والده لاستيراد الأثاث، إلا أن شغفه أحاطه بهالة من الجاذبية جاعلةً منه شخصًا مختلفًا -بالتأكيد- عن الجميع؛ الأمر الذي برز جليًا في تلك اللحظات من فرحهما، فرغم جمالها الفاتن الأخّاذ، إلا أنَّه -كعادته- خطف الأنظار وهما يجلسان في «الكوشة» يشاهدان صورهما بين جميع الحضور، في هذا العرس الأسطوري، في إطلالةٍ ساحرةٍ من أفخم قاعات القاهرة المطلة على نيلها، يرمقهما مئات المدعوّين حاسدين إياهما، مع كل صورة عكست هذا الحب والرفاهية، حتى انتهى العرض مع تصفيق حارٍّ من قِبلِ الكثير من الحاسدين والقليل من المحبين، وعلى رأسهم كانت «إنتصار» والدة «نور» الستينية وهي ترتدي ملابس راقية بحجاب أنيق، بجانب أخيها الدكتور «فضل» والد العروس وقد بدا بكامل أناقته هو الآخر،



إنَّه ستيني أصلع، أبيض البشرة، يرتدي نظارة حجبت دموعه، قبل أن تتحرك «دلال» ابنته الصغرى ناحية «البيست» في خجل، لتأخذ «المايك» من «لؤي» الشاب الثلاثيني القصير ذي الشعر البني الناعم والمسؤول عن إدارة الحفل، توسطت «دلال» القاعة والأضواء لتقول وهي تشير إلى «الفوتو كليب» المنتهي للتو:

- مش عارفه كان لازمتها إيه الفضايح دي بس... ألف مليون مبروك لأختي وحبيبة قلبي، ولأخويا وابن عمتي «نور» النهارده بجد أجمل يوم في عمري، وعشان كده محضرالكوا مفاجأه كبيره.

نظرت «دلال» إلى «لؤي» الذي كان الآن عند باب القاعة ينظر خارجها، ليتأكد من قدومها، ثم رمى ببصره إلى الداخل معطيًا «دلال» شارة البدءِ بإيماءة رأس، لتكمل هي:

- أقدملكوا صديقتي العزيزه اللي جت مخصوص عشانكوا، المطربه الجميله «أحلام»......

وما إن نطقت حتى علا التصفيق مُدويًّا لحظة دخول النجمة المشهورة «أحلام» من الباب، حالما فتحه للتو «لؤي» مدير أعمالها ما انفكت الصيحات تتعالى مع تقدم النجمة إلى وسط القاعة، فلقد كانت متألقة كالنجوم، صورة مبهجة يظنها الجميع وهمية من أوج تألقها، فهي نجمة بكل المقاييس المنطقية للبشر، كانت كستنائية الشعر، خمرية البشرة ممشوقة القوام، نجمة انبهر بها الجميع، ومن بينهم «ماهر» صديق «نور» الأقرب، ها هو يرتدي بذلة متواضعة، لا يصدق وجوده بجانب تلك النجمة، بينما طَفِقَتْ تغني مع عزف



فرقتها، حتى وصلت إلى صديقتها «دلال» تحييها وتقبلها بحميميَّة، ثم توجهت إلى العروسين جاذبةً إياهما في سعادة ناحية «البيست» مع علو الموسيقى، بالطبع ظهر على «نور» الانبهار بمطربته المفضلة، حال الجميع، فهو مجرد فتى مجهول، بدأ العروسان بالمراقصة رقصة حب على أنغام أغنية «أحلام» العاطفية، ثم أذنت بإشارةٍ منها إلى كل متحابين بالضَّم، ليقتربا في رقصة كلاسيكية، ثنائية، شعرت «دلال» بالحرج فانسحبت عائدة إلى مائدة والدها، بينما كان «ماهر» يتبعها، ليصل بعدها إلى الدكتور «فضل» فيحيِّيه بصوت مرتفع وسط صخب الموسيقى:

- ألف مبروك يا دكتور «فضل» أنا من أشد المعجبين بيك، حضرتك أستاذنا كلنا.

تجاهله الدكتور «فضل» حتى تدخلت «إنتصار» لتعرفهما ببعضهما.

- ده «ماهر» صاحب «نور» يا «فضل»، دكتور برضه.

- آه أهلًا يا ابني.

- طيب ممكن تسمحلي؟

قالها وهو ينظر إلى «دلال»، بينما لا يزال «فضل» غير منتبهٍ لمقصده، فابتسمت «إنتصار» إلى «دلال» بسعادة قائلة:

- آه طبعًا، إتبسطوا يا عيال، إحنا في فرح.

مُحرجَةً ابتسمت «دلال» وهي تمدُّ يدها إلى «ماهر» الذي بدوره تأبَّط يدها ليعود بها إلى «البيست»، ليبدأ رقصته



معها، مُتبسِّمًا لِـ «نور» غامزًا إياه مستدعيًا؛ ليتراقص أربعتهم وسط الجميع على كلمات «أحلام» الحالمة وما فتئ كلٌّ من «إنتصار» و»فضل» يحييان ضيوفهما، وكان على رأسهم الجراح «رؤوف» ذلك الرجل الأربعيني الشهير ذو الشارب الحاد، ومن بعده «أنس» محاسب «نور» ومساعده البدين، ثم برز من وسط الضيوف داخلٌ غريب الهيئة، رجلٌ ملابسه تبدو على أحدث صيحة من الجميع، بل تبدو أكثر تطورًا، فهي مجسمة ولامعة، جذب مظهره انتباه «نور»، خاصة سيجاره الكبير المميز، ونظارته الطبية الذهبية المتماشية مع ساعته التي تعكس ثراء الرجل الذي بادله النظرات، لينتاب الأخير شيء من الحيرة تجاهه، حتى عبر من أمام إحدى كاميرات التصوير، نظر «نور» إلى شاشة العرض، متمعنًا فيه عن قرب، إلا أن الكاميرا لم تسجل لحظة قدومه ممًّا زاد من دهشته! ثم عاد بنظره إلى الرجل الذي كان قد تبخر بالطبع.

- يا «نور» رد عليا!!

انتبه إليها عائدًا من خياله:

- إيه اللي واخد عقلك؟

- ولا حاجه يا روحي، اتهيألي إني شُفت حد أعرفه.

- مين؟

- معرفش.

- هِه، مش بتقول تعرفه؟

- قولتلك بيتهيألي.



بضيق أجاب، قبل أن تكمل «ذكرى» في رومانسية:

- طيب قولي، عمرك ما هاتسيبني أو تنساني؟

ابتسم «نور» من فوره، وأجاب مؤكدًا:

- ده إنتي عمري اللي فات وعمري اللي جاي يا «ذكرى»!! وعمري ما أقدر أسيبك لحظه أو أنساكي مهما حصل.

- يعني عمرك ما هاتتغير يا «نور»؟

- أتغير إزاي!. . . .ده أنا متربي على إيدك.

- يعني توعدني؟

- أوعدك بعمري.

وعدها قبل أن ينضج، وليعلم -لاحقًا- كم الجروح التي جرحت نظير وعدٍ وُعِدَ في فرحٍ أو قرار اتخذ لحظة غضب! قبل أن يُسحر هو بتألق النجمة «أحلام» وهي تُكمل غناءها وسط رقص كل المحبين أمام بقية الضيوف وعيونهم ترمقهم بنظراتها سهامًا متلاحقةً متقاطعةً، وفي وسط الجمع كانت هي تنظر إليهم بتحدًّ، فلقد كانت «عشق» من إدارة الفندق وقد كانت بالطبع حينها وحيدة!!

***



(٠٢)

من داخل سيارته ظل «ماهر» يتابع عتابه لِصديقه معاملًا إياه كطفلٍ عاق آبقٍ، أو كمراهق أرعن، وإن كانا كلاهما في نفس العمر تقريبًا.

- إنت مش ناوي تتلم بقى يا «نور» وتعقل شويه؟

- وإنت مش هاتبطل دور بابا ده؟ يا بني إحنا صحاب.....صحاااب.

قالها وهو ينظر داخل صندوق السيارة يبحث عن شيء يأكله، حتى وجد حلوى تخص أبناء «ماهر»، يفتح غلافها من فوره، بينما لا يزال الآخر مُسترسلًا في توبيخه مردفًا:

- ما هو عشان صحاب خايف عليك يا «نور»، شويه رسم وشويه نسوان، إحنا كبرنا يا «نور» مابقيناش صغيرين.

ظل «نور» يأكل الحلوى في تصابٍ معلقًا في سخرية:

- إنت اللي عايز تكبر نفسك يا «ماهر» عربيتك، هيئتك، ولبسك....

بقيت أفندي أوي بزياده.

كان بالفعل «ماهر» يسعى إلى تحقيق ذاته، بل وكان ناجحًا، ليبدأ حال الجميع إرسال تلك الرسائل عبر كل اختياراته من مشتريات تعكس ما كان يفتقده.

- آه يا سيدي، سيبنالك الهلاهيل والنجاسة بتاعت النسوان.

قالها صوت العقل بوضوح، وكأنه معصوم من الخطأ.



- خلاص يا عم ماتزقش، عمومًا المره دي جواز إن شاء الله، مفيهاش نجاسه ولا حاجه.

يكاد «ماهر» أن يرتطم بسيارة أخرى هلعًا وهو يعلق متزامنًا مع صوت احتكاك الإطارات إثر دوسة المكابح بقوةٍ:

- جواااز!!!!

- صدقني يا «ماهر» ده الحل الوحيد اللي ممكن أعمله عشان أحافظ على «ذكرى»...

قالها بتلقائية، ولكن «ماهر» شعر بملل من الحديث، ليحاول الاختصار:

- أيوه يا «نور» بس إنت كل اللي تعرفهم......

سكت لحظة ثم أردف:

- ماينفعوش....

- إنت مش كان همك حلال ربنا؟

وصل «ماهر» إلى عقار عائلتهم الذي بناه جد «نور» في البداية، ثم أكمله خاله «فضل»، ليسكن فيه الجميع، شقة لـ»فضل» نفسه، وشقة أخرى لأخته والدة «نور»، وثالثة لِـ «ذكرى» و»نور»، وأخيرًا شقة «دلال» وبالطبع زوجها «ماهر» الذي صف سيارته قائلًا:

- «نور» الحاجات دي مفيهاش تهريج، أنا مستحيل أسمحلك تعمل كده.

- أفندم!!!



علق «ماهر» مندهشًا.

- يا «نور» إحنا عيله كبيره ولينا سمعه وماينفعش...

- عيلة إيه يا «ماهر»؟!

قاطعه «نور» منفعلًا:

- دي عيلتي مش عيلتك، إنت نسيت كنت إيه قبل ما تناسبنا؟!

قالها وخرج من السيارة، بينما تبعه «ماهر» إلى مدخل العمارة.

- بتعايرني يا «نور»؟... عمومًا مش مهم كنت إيه يا.. المهم بقيت فين دلوقتي!

توقف «نور» مصطدمًا بواقعه، بينما أردف بقسوة:

- راجع نفسك يا «نور» وشوف إنت اللي بقيت فين النهارده!

ثار «نور» وعاد إليه مُقَطِّبًا جبينه بملامح يملأُها الغضب، قبل أن يدرك أنه لا مجال للحديث، فصمت عائدًا إلى المدخل، بينما ظل «ماهر» ينظر إلى أسفل، ثم ركل باب العقار بقوة وسخط.

من الأعلى فتحت «دلال» باب الشقة، فإذا بِـ «نور» متوقفًا أمام الباب متكئًا على الحائط، فاقتربت منه بتلقائية مُحتضنةً إياه دون أن يحرك ساكنًا.

- إخص عليك يا «نور» كنت فين؟!



لم يجب، فأضافت متسائلة:

- مالك في إيه؟!

اتخانقت مع «ماهر».. صح؟

- وإيه الجديد؟!

قالها متنهدًا وهي تصطحبه إلى الداخل معلقة:

- طيب خلاص فك بقى، ده عيد ميلاد بابا.

- طيب هي فين «ذكرى»؟

توقفت «دلال» محرجة قبل أن يكمل هو مهمومًا:

- طلعت.. صح؟!

ظلت «دلال» صامتة في حرج.

***

«أكيد ماكنش ينفع أكون موجوده ساعتها!!»

قالتها «ذكرى» لِنفسها، معاتبة إياها على انسحابها وهي لا تزال في مكتب غرفتها، ثم تابعت حديثها الذاتي ممسكة بتقاريرها الطبية.

«محدش فيهم كان عارف اللي عندي، وأنا قررت أخش التحدي لوحدي....لوحدي يا «نور»!»

مسحت «ذكرى» دموعها ثم فتحت أحد أدراجه، لتخرج بأجندة جديدة حمراء اللون، كان «نور» قد أهداها إياها لتبدع بكلماتها، ولكنها انشغلت بإدارة مستشفى والدها عن شغفها،



فلم يشعر الأب أبدًا بالاطمئنان على ماله، إلا بعدما أكملت هي مسيرته، عكس أختها «دلال» التي لم تدرس الطب أو تهواه، وليتركز حب الأب في «ذكرى»، حتى ظهر «ماهر» الذي شاركها بالطبع الإدارة.

***

وسط الشموع التي تضيء ظلام غرفة الطعام، كان الجميع يحتفل بميلاد الدكتور «فضل»، حيث وقفت «إنتصار» بجانبه، حال «دلال» وزوجها «ماهر» وحوله ابنتاه ذواتا السنوات الخمس والأربع، بجانب ابنة «نور» الوحيدة «فرح» بنت السادسة التي تركت هي الأخرى أباها يقف وحيدًا كالمنبوذ يقتل صديقه «ماهر» بنظراته، ويحاول الأخير الهروب معيدًا الأضواء بعدما أنهى الجميع الغناء، ثم تتقدم «إنتصار»:

- كل سنه وانت طيب يا أخويا وسند عمري.

- وانتي طيبه يا «إنتصار» ربنا ما يحرمنيش منك أبدًا، أنا مابقاش ليا غيرك.

- ليه يا جدو، وكل العيال دي لازمتهم إيه؟

علقت «دلال» وهي تقبل والدها، والأطفال من حولها.

- كل سنه وإنت طيب يا جدو.

جثا «فضل» على ركبته ليقبل أحفاده، قبل أن يقترب «ماهر» بدبلوماسية من حميه.

- كل سنه وانت طيب يا دكتورنا العظيم.



- عظيم إيه بقى؟ البركه فيك.

قالها «فضل» عن قصد وهو ينظر إلى «نور» الذي ظل صامتًا دون أن يهنئه، يأكل قطعة من «الساليزون» غير مكترثٍ، بينما تابع «فضل» تساؤلاته لـ«ماهر»:

- طيب تعالَى قولي أخبار المستشفى إيه؟

قالها وهو يتحرك به ناحية الصالونات، تاركين «نور» خلفهما، فتشعر الأم بالحرج قبل أن يباغتها «نور»:

- مش كان المفروض نستنى «ذكرى»؟!!

تنفعل «إنتصار» بشكل مريب.

- يا «نور» بقى إحنا في إيه ولّا في إيه؟!

سكتت لحظة ثم تابعت:

- لو سمحت عَيِّد على خالك كويس، بلاش تكسفني كده كل يوم.

- حاضر يا ماما، حاضر.

قالها ليحاول إرضاءها، بينما داعب «دلال» ساخرًا:

- عنيفه أوي عمتك دي.

ضحكت «دلال» حين أمسك «نور» بـ«الساليزون» ليقول مشاكسًا:

- حلو البقسماط ده.

من أمام الصالونات باغت «فضل» ابن أخته بالسؤال:



- وإنت يا «نور» طمني على شغلك.

سكت «نور» لحظة، وهو يدنو، ليتابع «فضل» عن قصد:

- طمني يا بني، أنا مشيت جنب فرع من محلات أبوك لاقيته مقفول.. خير؟

- بيتجدد.... صح يا «نور»؟!

قالتها «إنتصار» بحسن نية لرفع الحرج عن ابنها الذي نفى ببرود قائلًا:

- لأ.

تعجب الجميع قبل أن يكمل «نور» دون تردد:

- قافله عشان مكنتش فاضيله ومش عايز أتسرق.

- مش فاضيله ليه إن شاء الله؟!

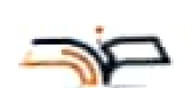
بتهكم وسخرية تساءل الخال، فأردف «نور» وهو يكمل طعامه دون اكتراث:

- عندي معرض.

ضحك الخال «فضل» ومعه «ماهر» الذي رفض التدخل، حال «إنتصار» المكسورة من تعليق ابنها، لحظة أن تدخلت «دلال» بلطفها المعهود:

- مبروك... صحيح يا «نور»، المعرض بكره.. صح؟

- آه وطبعًا كنت حابب إنكوا تيجوا بس عارف إنكوا مشغولين.



قالها وقد نهض واقفًا مدخلًا يديه في جيبي بنطاله، يعلوه السَّأم، تحاول الأم الوقوف هي الأخرى، قبل أن يمسك «فضل» يدها فيجلسها رغمًا عنها، وقد تحرَّك «نور» ناحية الباب ناظرًا إلى «فرح» الجالسة على الأرض مع بنات «ماهر».

- يالا يا «فرح» نطلع لماما.

نظرت «فرح» إلى أبيها في تردد قبل، فتدخَّلت «دلال» لرفع الحرج عنهما.

- معلش يا «نور» أنا وعدتها تبات مع البنات.

أومأ برأسه متفهمًا وخرج منكسرًا.

***

وضعت «ذكرى» كل أشعاتها وتحاليلها في درج مكتبها ثم نظرت إلى أجندة «نور» الحمراء، فتناولت قلمها لتكتب عنوانًا على غلافها «حلم واقع».

ثم فتحت الأجندة وهي تحدث نفسها:

«لو دي هاتبقى آخر أيام في عمري، يبقى على الأقل أعمل فيها اللي أنا بحبه»

من خلفها يدخل «نور» وهو يمسك لوحة بيديه، بجانب سترته التي خلعها عند الباب، بعدما تأكد أنها قد رأته.

- مساء الخير يا حبيبتي.

لا تجيبه، وليتابع هو في محاولة لتغطية أفعاله، ممسكًا



بلوحته تلك، ليظهرها لها؛ حيث كانت لوحة مرسومة لها بالفعل.

- معلش يا حبيبتي، النهارده كله ضاع في رسمك يا أحلى حاجه في حياتي.

ابتسمت رغمًا عنها، وهو يُكمل:

- القمر ماله بس مبوِّز ليه؟ الرسمه وحشه؟

قالها وهو يضع اللوحة الصغيرة بجانب وجهها.

- هي أكيد أي حاجه جنبك هاتبقى وحشه طبعًا.

- معلش يا «نور»، ممكن تسيبني لوحدي شويه؟

بعصبية علقت ليقول هو:

- طبعًا....لأ.

بسخريته المعهودة قالها وهو يجلس على السرير، فنهضت مندفعةً تستطرد بانفعالٍ:

- يا «نور» لو سمحت، مش كل حاجه هزار يا أخي، إنت إيه ماتعرفش تاخد الدنيا جد أبدًا!!!؟

تعجب «نور» ويتوتر، لينهض من على السرير:

- خلاص يا «ذكرى» براحتك، عمومًا أنا مش عيل صغير، وموجود لو في حاجه عايزه تكلميني فيها، ممكن تفضفضي معايا، يعني لو حبيتي...

- لأ دي حاجه في شغلي مش هاتفهم إنت فيها..



ظهر الضيق عليه وقد لاحظ كذبها، ثمَّ أكمل حديثه وهو يتحرك ناحية التلفاز واضعًا لوحتها المرسومة بجانب صورة فوتوغرافية لها في فرحهما ولكن مع أبيها، ليعلق متهكمًا:

- طيب لو احتجتي حاجه عندك أونكل «فضل»، تقدري تتكلمي معاه كالعاده.

قالها دون أن يخفي غيرته الملحوظة من حبها المبالغ لوالدها، وهو يدور حول نفسه ساخرًا من حاله، وهو يمسك بـ»روب» أحمر كان معلقًا عند الباب ويخرج.. تتأكد هي من خروجه، ثم تواصل كتابتها:

«هو ده «نور» عمره ما خد أي حاجه جد فعلًا، «نور» لسه طفل صغير،

ساعات بحس إنه ابني مش جوزي، وأكيد مش هايقدر يستحمل لو عرف،

عشان كده أنا قررت أكتب له، أو أكتب للزمن، بس اللي هاكتبه هايكون من رؤيتي أنا، ما أنا و»نور» في الأصل واحد».

***

من على مسرح الأوبرا أنهت النجمة «أحلام» غناءها للتو منحنية لجمهورها الذي أشعل القاعة بالتصفيق، مرتدين البزات والفساتين الكلاسيكية احترامًا لفنها، يتمُّ إسدال الستار، وتخرج النجمة حيث كان مدير أعمالها «لؤي» ينتظرها ليتحركا سويًّا إلى غرفتها:



- مبروك يا نجمه.

- بجد كنت كويسه يا «لؤي»؟

- يا بنتي ارحميني من السؤال ده، دي عاشر سنه غُنَا، هو انتي تلميذه؟!

- أيوه يا «لؤي»، بس إنت عارف إن الأوبرا غير.

وصلا إلى الغرفة ومن ثَمَّ دخلاها سوِيًّا، بينما يتابع هو:

- الأوبرا دي اتعملت ليكي من الأول يا ماما.

- طب بطل الكلام ده وقولي ورانا حاجه، ولّا هاتروَّحني؟

جلست «أحلام» لتخلع أقراطها الماسية التي أثقلت أذنيها.

- لا خلاص، النهارده براءه، بس كلمي «دلال» صاحبتك دي عشان اتصلت بيكي كتير.

تذكرت للتو لتقول:

- «أوبس»، ده اليوم كان... كان عيد ميلاد عمو «فضل».

بدا «لؤي» واجمًا بلا تعليق وبلا ارتياح، أيضًا.

- يا ألله.. إنت لسه شايل منها؟!

- هاشيل منها ليه؟ هي الخسرانه، لو كانت سابتلي نفسها كان زمانها أشهر «ميك أب أرتيست» في مصر.

قالها بغباء واضح لم يستطع إخفاءه، لتدافع «أحلام» عن صديقتها قائلة:

- يا سيدي هي عندها اللي أهم من الشهره، بنتين زي القمر،



وكمان «ماهر»، ربنا يخليهم لبعض.

- أهو كل واحد بياخد اللي هو عاوزه.

قالها لتشعر هي بما اختارت لتحمد ربها على ما تملك، وإن كانت تجهل ما إذا كانت قد أحسنت الاختيار، فلم تمتلك هي عائلة بعد:

- حقيقي..... الحمد لله.

قالتها وهي تتصل بصديقتها التي كانت في غرفتها بجانب «ماهر» على سرير ضخم، استطاع أن يعزل كلًّا منهما في جانب داخل عالمه الخاص ممسكًا بهاتفه، ثمَّ يرن هاتف «دلال» التي اعتدلت في جلستها في سعادة، وهي تجيب في الهاتف:

- «أحلاااام»!!

- حبيبتي وحشتيني.. أنا آسفه بجد، كنت في الحفله، ولسه مخلصه.

- إيه الهبل ده، ولا يهمك أنا عارفه، أنا كنت عايزاكي في حاجه تانيه خالص أصلًا.

قالتها وهي تنظر إلى زوجها المبتسم لمكالمة النجمة، وتقول:

- حبيبي، «أحلام» بتسلم عليك وبتقولك سيبنا لوحدنا، عندنا كلام بنات مهم.

ابتسم لها محرجًا، ولكنه تقبل الوضع في سعادة غريبة



قائلًا:

- يا سلام.. عنيًا الاتنين، إحنا عندنا كام نجمه رافعه راسنا زيها؟

قالها ثمَّ خرج ممسكًا بهاتفه بلهفة ليقوم باتصال مريب، للمرة العشرين، وإن كان محظوظًا هذه المرة، حيث أجابت، ليقول بانفعالٍ متحكمًا بنبرة صوته:

- أخيرًا رديتي!!

إنتي لازم تفهمي إني لسه جوزك ولازم أعرف إنتي فين!

من مرسمه أجابته «عشق» بتنهد وملل:

- عايز إيه يا «ماهر»؟

***

من غرفتها طلبت «أحلام» من «لؤي» تركها وحيدة لتتنصت الاستماع إلى ما قالته صديقتها «دلال» للتو، محاولةً فك طلاسمه، فلم يكن الكلام سهلًا، بل كان أكثر تعقيدًا مما تظن، ولكنه بالطبع كان يستهويها، فلكل منا حاجته، المشروع منها وغير المشروع:

- لأ، كده يا «دلال» أنا هاحتاج أفهم أكتر، لازم نتقابل، وأكيد مش هاينفع نتكلم عندك، ولا في أي مكان برا، تعليلي بكره الصبح البيت.

- بكره بكره؟

- أيوه بكره مش بعد بكره يا «دلال».



- ههه، واضح إني جيت على الجرح، ههه خلاص معادنا بكره.

قالتها وهي تغلق الهاتف مبتسمة في سعادة لنجاح خطتها، حين كان زوجها على بعد أمتارٍ خارج حجرتها، ولا يخطر ببالها ما يفعله! يكمل حديثه إلى «عشق» قائلًا:

- بقولك كنت فين النهارده؟!

- أولًا ملكش دعوه، ثانيًا والأهم إسمها طليقي مش جوزي، إحنا مش قطعنا الورقتين؟!

بنبرةٍ قوية قالتها وهي تتمدد على سرير مرسم «نور» تداعب مكانه.

- بس عايز أردك يا «عشق» وإنتي عارفه.

- وأنا مش عايزاك، وكلها شهر والعده تخلص يا «ماهر».

- يا «عشق» أنا مقدرش أعيش من غيرك وإنتي عارفه كده.

- طيب طالما كده طلقتني ليه؟ ولّا هو أنا الحيطه المايله، تشخط وتنطر فيها؟ كل يوم أستحمل غلطك وإهانتك ليا، وأنا اللي شايلاك، وتروح هناك تبوس رجلين الست هانم.....كفايه كدب بقى يا «ماهر» وروح لمراتك، إنت متجوز ست زي القمر.

بصدق قالتها، فلم تكن تظن أنها تكيل بمكيالين، وإن كان لكل مقام مقال، بينما شردت لحظة مسترجعة شريط ذكرياتها في مخيلتها، حالها معه عندما كان يأتيها صابًا في أحشائها عصارة رغباته ممزوجة بالتخلص من همومه، قاذفًا في داخلها



حمم نزواته متدحرجة، تتغلغل في أعماقها، ملقيًا إليها وفيها وبين يديها مع قذائف نشوته -تلك- كل ما تنوء به نفسه من غموم أو ضعف وانكسار، فقد جعلها لذلك منذ تقابلا للمرة الأولى في «دبي» في مؤتمر طبي سافر إليه «ماهر» نيابةً عن حميه «فضل» قبل أن يقابلها هناك، حيث كانت «عشق» من طاقم الفندق والمسؤولة عن إدارة المعرض، كانت هناك تعيش وحيدة، فمنذ سفر والديها إلى هناك وصار الرجوع تحديًا صعبًا، فعند رجوعها إلى «القاهرة» وعملها في مجال الفنادق المصرية، لم يتقبلها الجميع ونظروا إليها نظرة ظالمة، ومن ثمَّ عادت أدراجها مسرعة إلى «دبي» لتكمل هنالك عملها في هذا المكان المليء بالحياة حتى استفزتها في ثوانٍ معدودة، وجدت نفسها فيها في منتصف الثلاثينيات، دون عائلة أو بيت، فهذا كان اختيارها وإن كان دون قصد، فلقد كانت تتوسط ثقافتين مختلفتين، فهي ليست تلك الفتاة الأجنبية التي لا تكترث للتقاليد، ولم تكن أيضًا في حضن الوطن لتستطيع بناء عائلة سوية، وبين هذا الصراع ظهر «ماهر» في كامل أناقته ونجاحه، مصري حتى النخاع، وطليق في الخفاء، امتلك وجهين لعملة ظنتها واحدة فوقعت هي في شباكه في هذا اليوم الذي خرجا فيه سويًا بعيدًا عن أعين طاقم الأطباء.....

***

من أحد بارات «دبي» الصاخبة، وقف «ماهر» إلى جانب «عشق» الجالسة على الكاونتر ممسكة بمشروبها الكحولي المفضل «موهيتو» الذي يتخلله الليمون والنعناع:



- هو أنت بجد مش بتشرب؟

- طبعًا، الخمره حرام.

ابتسمت هي بحب مكررة وكأنها سمعتها للمرة الأولى:

- حرام!

- أيوه يا «عشق» حرام.

قالها وهو يبعد مشروبها برجولة شرقية أحبتها.

- إنتي مكانك مش هنا يا «عشق».

- ههه، أنا معرفش غير هنا.

- بتحبي إيه هنا؟

- الوضوح، هنا محدش بيحكم على حد، وعشان كده كل حاجه في النور، عندنا بقى بنعمل كل حاجه برضه بس في الضلمه.

ضحك «ماهر» موافقًا ثم حدد:

- أنا مقصدش البلد، قصدي البار ده، البار ده مش لايق عليكي.

- طب عايزنا نروح فين؟ مطعم وكده؟!!

ساخرة علقت ليجيبها هو موافقًا:

- أيوه إيه المانع؟

ابتسمت هي موافقة إياه على خداعه، ليصطحبها بود إلى عالمه الذي كان أكثر ظلمة كما قالت بالفعل، ليبث هو سمومه



في العسل، كحال معظم رجال المحروسة:

- مكنتش مصدق إنك بجد محافظه على نفسك كده.

- وهو عشان بخرج وبشرب لازم أكون....

- ماتكمليش، مقصدتش.

قالها مقاطعًا إياها، ثم تابع بسحر رخيص:

- عارفه يا «عشق»؟ أنا لولا ظروفي مكنتش فوّت لحظة وخطفتك.

- وإيه إللي منعك؟

- بناتي.. أنا للأسف لو طلقت مراتي هاتخد مني كل حاجه، أنا للأسف ضيعت عمري عشانهم، خليت المستشفى بتاعتهم صرح كبير، بس حقيقي مش ده اللي فارق معايا، أنا اللي فارق معايا بناتي، خايف من غيري يطلعوا...

- يطلعوا زيي.

قاطعته معلقة، ليرفض بشدة:

- ماتقوليش كده يا «عشق»، إنتي مش فاهمه إنتي عملتي فيا إيه في الكام يوم اللي فاتوا.

سكت، ثم قال بخبث شديد:

- «عشق» أنا يشرفني إننا نتجوز.

بالطبع لم تسمعها «عشق» من قبل، فلم تقابل مثل هذا النوع المحتشم من الكذب، لتقع هي فريسة تلكما الورقتين اللتين



حللتا ما حرَّم الخالق من كذب، فلقد كان لجسدها حاجة ملحة أهملتها فصار يصرخ متوعدًا، لتتقبل «عشق» تلك الزيجة السرية التي كسرت ما تبقى منها، فبالطبع لم تكن إلا تلك العشيقة التي يهاجر «ماهر» إليها في فراغه ليشبع الكثير من الغرائز المكبوتة، التي لم تستطع «دلال» إشباعها، فلقد كانت «دلال» أشبه بالطفلة المدللة التي هاب «ماهر» خدش حيائها، كابتًا الكثير من متعه الجنسية، جاهلًا أنه يُحرم «دلال» هي الأخرى من حقوقها، فلقد صارت «عشق» هي متعته، ذلك الملاذ الخاص الذي ربط عقله بالاستمتاع؛ ليفرز عقله هرمونات النشوة تلك الشهور الطويلة التي راضى فيها كل منهما جسد الآخر، دون قيد أو شرط، أو حتى منزل، فلقد كان ملتقاهما هو هذا الفندق الفاخر الذي يدفع «ماهر» فيه لقاء الخدمة الفاخرة، لتخلو تلك العلاقة من أدنى أنواع المسؤولية؛ الأمر الذي أدمنه «ماهر» وبغضته «عشق» بعد عدة شهور، فلقد باتت تبحث عن أنوثتها وقلبها، حال جميع بنات حواء، ليرفض «ماهر» هذا التغيير، ويبدأ الصراع الذي أدى إلى الطلاق، خاصة بعدما قص عليها قصة «نور»!

والآن ظل «ماهر» يحاول جاهدًا استرجاع «عشق» جاهلًا ما تفعله هي، ليظل في تلك المكالمة يتوسل إليها كالمدمن:

- يا «عشق» إفهمي، إنتي الأفيونه اللي أنا عايش عليها، من غيرك كل حاجه في حياتي بتبوظ، مشاكل في البيت، ومشاكل في الشغل، حتى «نور» اتخانقت معاه النهارده.

استطاع «ماهر» جذب فضولها للتو، لتعدّل من جلستها متسائلة:



- «نور» عديلك اللي إنت دايمًا بتحكيلي عليه؟!!

بدهاء تساءلت «عشق» التي وجدت في «نور» كل ما نقص «ماهر»، ليذهب عقلها وتقع هي في إدمان آخر:

- أيوه يا «عشق» فنان الغبره ده، المهم ممكن بس نتقابل، وتديني فرصة تانيه؟ وأنا أوعدك إني أتغير مافرطش فيكي تاني.

في خبث ودهاء تجيب من فورها:

- موافقه، بس إحكيلي الأول إيه اللي حصلَّك النهارده مع «نور» ده بالتفصيل.

***

من معيشة منزل «نور» كان هو مستلقيًا على الأريكة ببنطاله وقميصه الأبيض دون روبه الأحمر، يرن هاتفه باسم «عشق» فيلقي نظرةً إلى الداخل ليتأكد من انغلاق باب غرفة «ذكرى»، ثم أخرج سماعة لا سلكية يلقمها أذنه فيستلقي في سعادة متحدثًا وهو محتضن وسادةً على صدره، ليقول بصوت منخفض:

- يا مجنونه..

- مجنونه بيك.

قالتها بعدما كانت قد أنهت حديثها إلى «ماهر» للتو، وقد عرفت منه ما حدث له، لتكمل وضع شباكها المعهودة.

- كنت حقيقي محتاجلك.



- عارفه... حسيت إن قلبي اتقبض، قلت أكيد اتخانقت مع صاحبك وانتوا مروحين.

- مش بقولك بخاف منك، وبتعرفيني أكتر من نفسي؟

- طيب يالا بالراحه كده إحكيلي كل حاجه عشان ترتاح، ونفسيتك تهدى، وتعرف تركز في معرض بكره.

- بحبك يا «عشق»...

ابتسمت وهي تتحرك بالهاتف داخل المرسم حتى وصلت إلى لوحة «ذكرى» المعلقة، لترمق كل منهما الأخرى، وإن فصلتهما عوالم كثيرة.

***



(٠٣)

يستيقظ «نور» من على الأريكة بعد ساعات والهاتف على صدره، فيُعدِّل من جلسته وينظر إلى ساعته التي كانت تشير إلى التاسعة صباحًا، ثم نهض باحثًا عن زوجته في غرفتهما، ليجد الغرفة خالية، بل ومهندمة بطريقة مبالغة، فتوجه إلى اللوحة التي رسمها لها والموضوعة بجانب صورتها مع أبيها.. أمسكها ثم جلس على السرير متنهدًا قبل أن يتصل بمساعده «أنس» هاتفيًا والذي كان في المعرض الرئيسي يجلس بجسده الضخم على أريكة مكتبه.

- أهلًا يا «نور» إيه اللي مصحيك بدري كده؟

- معلش يا «أنس» تعلالي النهارده محل مصر الجديده.

اندهش «أنس» حيث لم يكن معتادًا على جدية «نور» في العمل.

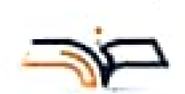
- بس المعرض ده مقفول يا «نور».

- آه معلش، افتحه وهاتلي معاك مفتاح الخزنه، ودفتر الشيكات والحسابات كلها، بس ماتتأخرش أنا ربعايه وهابقى هناك.

قالها «نور» وهو يتحسس السرير متثائبًا قبل أن يستسلم إلى النوم مرة أخرى محتضنًا صورة «ذكرى» زوجته.

***

عند مدخل مستشفى والدها توقفت «ذكرى» بسيارتها الفارهة، وعلى الفور يتسلمها منها أحد العاملين، فتترجل إلى



الباب الرئيسي، وقد كان المستشفى مبنًى وحيدًا وسط منطقة سكنية في المعادي، مكونًا من سبعة طوابق صغيرة الحجم، ولكنها تشمل أغلب التخصصات.

حيَّت العاملين، ثم توجهت إلى الريسيبشن حيث جلست موظفة بسيطة، لتسألها:

- بابا أو «ماهر» وصلوا؟

- لأ يا فندم، حضرتك عارفه مابيجوش الصبح كده.

- طيب عال، الدكتور «رؤوف» موجود؟

- آه، يا فندم وصل وعنده عمليه الساعه ١١.

- طب خليه يجيلي مكتبي ضروري قبل العمليه.

بإصرار طلبت «ذكرى» لتندهش الموظفة مستجيبة:

- حاضر يا فندم.

***

من غرفته يستيقظ «نور» على رنين هاتفه المتواصل منذ كثير من الوقت، ليجيبه في تعب:

- أيوه يا «أنس» خير!

من معرض «مصر الجديدة» يجيب «أنس» مندهشًا:

- يا «نور» إنت نمت تاني؟ أنا جيت على المعرض، ده إنت اللي طالبني!

باندهاشٍ يستفيق قائلًا :



- نمت إيه بس يا «أنس»؟ أنا بس لاقيتك اتأخرت، قلت: أكسب وقت وأروح البنك أسحب فلوس، خمس دقايق وأبقى عندك...

قالها ثم قفز مسرعًا ليحفظ ماء وجهه.

***

من داخل مكتبها الكلاسيكي ظهر الجراح «رؤوف» وهو يقرأ التحاليل والأشعات في صمت وتوتر، ليقول دون النظر إليها:

- طبعًا يا فندم، حضرتك أستاذتنا وفاهمه كل حاجه.

- أيوه يا دكتور فاهمه.

قالتها مطمئنة إياه، وإن كان العكس هو المطلوب.

- طيب أنا أعتقد إن التدخل الجراحي هو الخيار الوحيد دلوقتي.

- ما هو عشان كده أنا رجعت لحضرتك، وكنت عايزه أعرف تخيلك إيه؟

- يا فندم، دي مسؤوليه كبيره، وأعتقد الدكتور «فضل» هو اللي يقدر يقرر.

أغضبها رده، لتجيب هي بحسم حازم:

- لأ، أنا مش صغيره، أنا عايزه أعرف كل حاجه، وآخد القرار بنفسي.

يزداد تعرق الجراح «رؤوف»، وهو يقول متوترًا:



- حضرتك نسب النجاح في عمليه زي دي مش كبيره.

- البركه في ربنا وفي حضرتك يا دكتور «رؤوف».

قالتها بإيمان قبل أن تكمل:

- أنا عايزه أتفق مع حضرتك على حاجه.

- يا فندم أنا تحت أمرك.

- أنا مش عايزه بابا يعرف غير قبليها بكام يوم.

سكت الدكتور «رؤوف» في حرج قبل أن تكمل:

- أنا مش بثق في جراح غيرك، فلو سمحت تطمني إني مش محتاجه أروح لحد غريب، أتمنى ثقتي تكون في محلها.

- لا يا دكتوره، ثقتك في محلها، بس أتمنى إنك تدي والدك حقوقه.

- أوعدك، بس أنا حقيقي عايزه أعرف دلوقتي آخر معاد أقدر أعمل فيه العمليه دي.

سكتت لحظة، ثم تابعت:

- في حاجات كتير عايزه أخلصها قبل اليوم ده.

- مفهوم يا دكتوره.

سكت هو الآخر لحظة، ثم تمالك لحظة ليكمل:

- أظن حضرتك لازم تحددي يوم في خلال شهر بالكتير عشان ماتصعبيهاش عليا.

***



من غرفة فيلته الفخمة، استيقظ هذا المعالج النفسي وحيدًا وقد بات في الستينات من عمره، وهو ملقب بـ«ضياء» ومشهور بتخصصه في العلاقات. كانت غرفته مريحة حديثة الديكورات، بيضاء اللون، حال الحوائط والمفروشات وحتى الأرضية الخشبية، المكان يشبه الأحلام، ارتدى الرجل ملابسه الغربية، المجسمة على جسده، فهو رشيق، طويل الشعر، يرتدي نظارته الطبية ذهبية اللون، حال ساعته التي تعكس ثراءه، ثم خرج من غرفته متوجهًا إلى سلم الفيلا الحلزوني، حتى وصل إلى غرفة مكتبه، ذات المدخل الخاص من الخارج التي يستقبل فيها أقل القليل، الغرفة مريحة تعكس طبيعة عمله، مليئة بالتماثيل الفنية واللوحات التشكيلية الأصيلة، خاصة ثلاث لوحات تعتلي مكتبه ومن أسفلها مكتبة كبيرة تضم الكثير من الكتب والمخطوطات، جلس على كرسي مكتبه وأخرج من الدرج سيجارًا كوبيًّا، صُنع على أفخاذ العذارى، يتذوق حيويتهن بلسانه وهو ينفث دخانه عبر نافذة كبيرة مطلة على حديقته، حيث كانت تجلس حبيبته هناك على أريكة خشبية تعطيه ظهرها، فيظل منتظرًا رؤية وجهها، قبل الزيارة الأولى، فلقد كان يتوقع قدوم «نور» اليوم.

***

كان معرض «نور» للموبيليا شاسع المساحة، يضم الكثير من المفروشات، ولكنه يقتصر على المستورد منها فقط دون المحلي، أغلب البضاعة كانت كلاسيكية، حال ديكورات المكان ذي السقف العالي والثريات النحاسية، من الداخل كان هناك مكتبه، وهو مرتفع عن المعرض بخمس درجات،



يفصله عنه حائط خشبي مطعم بالزجاج، في داخله كان يجلس «نور» أمام «أنس» هذا المحاسب الأرمل البسيط وكاتم أسرار العائلة، الذي كان يخدم والده من قبل، والظاهر عليه الضيق.

- يا «نور» مفيش أي كاش في البنك، بالعكس، إحنا علينا فلوس كتير للمستوردين.

- طيب والبضاعه دي؟

أشار «نور» للمفروشات المعروضة.

- هانبيعها إزاي والمحلات مقفوله يا «نور»؟!

- يا «أنس» أنا النهارده أول معرض فني ليا، ومحتاج فلوس.

يتعجب «أنس» الذي لم يظهر عليه أي تعاطف مع «نور» ليكمل عتابه:

- معقوله يا «نور» معكش فلوس لحاجه زي دي؟!

- لأ يا «أنس» معييش.... ومش عايز تكسير مجاديف والنبي.

- وأنا من إمتى بكسر مجاديفك بس يا «نور»؟ أنا مش عِشرة يوم، المحلات من ساعة ما....

- ما إيه يا «أنس»؟

قالها «نور» مقاطعًا إياه، فلقد مل من عتاب الأخير، ومعايرته بخسارة المعارض منذ وفاة والده، ثم أردف «أنس»:

- قصدي من ساعة اللي حصل وإنت مش مركز، وبعدين



الصراحه، أنا لحم كتافي من خير أبوك، ومايهنش عليا اللي بيحصل ده.

- وهو عيب يعني يبقى عندي حلم؟

تساءل «نور» وهو شارد في حلمه.

- لا يا «نور» مش عيب، بس ما تآخذنيش يعني أنا زي أخوك الكبير، واتعلمت من والدك الله يرحمه كتير، وهو كان هاوي فن وتصوير برضه، بس كان دايمًا يقولي، حلو إن الواحد يكون ليه هوايه أو حلم، بس الأهم يكون ليه وظيفه ومصدر دخل.

كان «أنس» هو صوت العقل الذي يمقته «نور»:

- ما هو عشان كده محققش حلمه، عمومًا مش وقت الكلام ده، أنا عايز دلوقتي أبيع البضاعه دي، إفتح المحل بأقل عماله ممكنه واعمل عروض كبيره.

- طيب بس كده هانخسر كتير، ومش هاتلم حتى راس مالك، إحنا الإيجار لوحده مكسرنا يا «نور»!

- مش مهم، نفتح الفرع ده بس، على الأقل نسدد الديون.

- يا «نور» عشان تكسب لازم المكنه تفضل دايره، نفضل نستورد ونبيع، يا إما إسمنا هايقع أكتر، إحنا كنا أهم مستوردين فرش في السوق.

كان «نور» من أكثر المعارضين للاستيراد بالفعل، مؤمنًا بالصناعة المحلية في مجال المفروشات.

- ما هو ده اللي بيخسرنا بنستورد رغم إننا نقدر نصنع



موديلات أحسن بكتير، إعمل اللي بقولك عليه يا «أنس»، ولو ربنا كرمنا هنشوف هانبقى نعمل إيه، ولو انت حابب المكان ده، حاول إنت تحافظ عليه، عشان أنا بالنسبه لي، المكان ده مات زي صاحبه.

قالها بقسوة، ثم خرج في حالة رفض، كعادته يعلق تأخر حلمه على أكتاف الجميع، فالكل مشارك من وجهة نظره، في تأخر خطواته، ليلومهم فردًا فردًا عدا نفسه. استقل سيارته الصغيرة إنجليزية الطراز حمراء اللون واتجه إلى عيادة طبيبه النفسي «ضياء» الذي كان ينتظره في تلك الساعة بالضبط قبل ساعات من معرضه الأول، كان «ضياء» يجلس على مقعد مكتبه الأبيض من أمام مكتبه الزجاجي المعاصر، بينما استرسل «نور» في الحديث يقص عليه حكايته المعتادة، فلم تكن «عشق» هي الأولى في حياته، بل اعتاد الدكتور «ضياء» تدوين نزوات «نور» واحدة تلو الأخرى ليعلق:

- طيب وإيه الجديد يا «نور»؟ ما انت كل مره تجيلي هنا بتكون في واحده جديده ظهرت في حياتك.

يشعر «نور» بحرج وهو يضيف:

- بس المره دي حصل بينا حاجه فعلًا...

معاتبًا يعلق الدكتور «ضياء»:

- ما هو اللي بيحوم حوالين النار لازم هاتحرقه.

- ما هو ده اللي مضايقني يا دكتور، أنا أول مره أعمل حاجه كده.



تنهد «ضياء» ووقف متحركًا ناحية «نور» ليجلس على المقعد المقابل له.

- عارف يا «نور»؟ أنا كنت شبهك كده وأنا في سنك، وكمان كنت برسم.

- بجد؟

تعجب «نور» ليشير «ضياء» إلى اللوحات المعلقة على الحوائط قائلًا:

- آه والله، كل اللوحات دي رسوماتي، وكمان كنت بكتب وألّف قصص.

- لأ، دي صعبه عليا بقى.

- مفيش حاجه صعبه على الفنان، عشان كده أنا أكتر من غيري، حاسس بالظبط إنت مشكلتك فين يا «نور»؟

سكت لحظة، ثم تابع مجددًا:

- مش بالعلم بس.

- طيب قولي يا دكتور، فين مشكلتي؟

- مشكلتك يا «نور» إن ريشك بيخدع.

يبتسم «نور» من تعبير الرجل متسائلًا:

- يعني إيه؟!

- بص يا «نور»، إحنا عبارة عن عضم عليه لحم، وفي الآخر في ريش، بس إنت الريش بتاعك بيخدع الناس..



فنان... مجنون... منطلق.

سكت لحظة ليدخن سيجاره، ثم تابع:

- بس الحقيقه إن عضمك مختلف، راجل ملتزم إلى حد كبير، وعشان كده إحساس الذنب بيقتلك.

- أيوه يا دكتور، بس أنا حاسس إني بقيت إنسان معرفهوش، بقيت «خاين» محترف.

يقولها «نور» في غضب وندم، ليكمل وهو يطأطئُ بصره إلى الأرض:

- بكدب في كل لحظه على مراتي، وحتى على نفسي.

- وأنا بقولك إن مفيش فينا ملايكه يا «نور»... كفايه جلدك لذاتك، وحاول تعرف إنت بتدور على إيه، يمكن ساعتها ترتاح.

- يعني أكمل مع «عشق»؟

تساءل «نور» في غباء وتردد.

- إنت شايف إيه؟

- أنا حاسس بحاجات كتيره مختلفه، زي ما أكون كنت محتاجها كواحده ست، حاسس إن حياتي اتملت، والأهم إني لاقيت حد مؤمن بيا، دي بفضلها النهارده أول يوم في حلمي بيتحقق، وبعمل أول معرض ليا.

يشعر «ضياء» بالضيق، ليقول رغم اعتراض داخل نفسه:

- يبقى كمل يا «نور»، بس افتكر حاجه مهمه.



أطفأ سيجاره ونظر داخل عينيه ليقول:

- إفتكر كويس إن إنت اللي بتنجح مش الناس اللي بتنجَحك....

أومأ برأسه مبتسمًا، ثم وقف ليحيي الرجل.

- حاضر يا دكتور، هاستأذنك أنا..... وشكرًا على كل حاجه.

ابتسم له فاتجه إلى الباب، قبل أن يناديه «ضياء»، ليلتف عائدًا إلى الداخل، فيسأله سؤالًا أخيرًا :

- إنت عارف إنت بتيجي هنا ليه؟

يظهر عليه التردد قبل أن يكمل «ضياء»:

- صدقني يوم ما تعرف، مش هاتحتاج تيجيلي هنا تاني!!!

ابتسم «نور» وخرج قبل أن يتحرك الدكتور «ضياء» عائدًا إلى مكانه، ليقوم باتصال هام.

***

من منزله أغلق الدكتور «فضل» تلك المحادثة التي وصلته من ذاك الطبيب النفسي -بعدما قص عليه الكثير والكثير؛ ممَّا زاده همًّا- ثم ارتدى ملابسه متجهًا إلى أخته وإذا بِـ «نور» قد وصل إليها توًّا ليقترض منها بعض المال، وقد قدَّمت له بالفعل مبلغًا مناسبًا كعادتها ظلَّت تساعده في السنوات الأخيرة، حتى فقدت أغلب ما كانت تمتلك قبل وفاة زوجها:

- أنا آسف يا أمي، أنا عارف إني تقلت عليكي.



قالها مقبلًا يد أمه التي أجابت في ود:

- يا حبيبي ده كله من خير أبوك وخالك، أنا بس نفسي أطمن عليك قبل ما أموت.

- طيب ادعيلي بس ربنا يكرمني والمعرض ينجح..... صدقيني ده هايوفر لي كتير.

- يا رب يا بني يعملك اللي فيه الخير.

لم يكن يحب تلك الدعوة؛ حيث كان يؤمن بكرم الخالق، وقدرة أمه على الدعاء بكل ما يحلو لها.

- أنا بس عايزاك تراضي خالك، عشان لو احتجت حاجه يسندك.

- تاني يا ماما؟ أنا مابحبش آخد حاجه من أهل مراتي.

- يابني ده خالك، والخال والد.

قالتها ثم رنَّ جرس الباب متكررًا، فتحرك فاتحًا، فإذا بخاله لدى الباب، ينظر له بغضب، قبل أن يدخل وخلفه «نور» يجرُّ خطاه ليأخذ المال الموضوع على المنضدة، تحت نظرات الشفقة من خاله، ثم ينسحب في هدوء، مفسحًا له المجال، ليقص لها ما عرف من طبيبه النفسي الذي اختاره «فضل» بنفسه دون علم الجميع.





(٠٤)

كان المعرض داخل إحدى القاعات الكلاسيكية في أحد الفنادق، يضم أكثر من عشرين لوحة بريشة «نور» هاهو يرتدي بذلة سوداء في منتصف المكان يظهر عليه التوتر من وسط العمال وهم لا يزالون يكملون الأعمال في المكان، بينما كانت «عشق» هناك تترأس الجميع وتشرف عليهم في وجود «أنس» الذي أخفى إعجابه الشديد بها، فلقد كان يعرف علاقتها بـ«نور» وقد وجد فيها اختلافًا عمن قبلها؛ حيث رأى ما بداخلها من وحدة وألم، ليشعر أنها من لحم ودم، عكس برودة الأخريات، ولكنه كان يوقن أنها مجرد محطة في رحلة «نور» الطويلة في بحثه عن الحقيقة، عاد «أنس» من شروده، متلقيًا تلك الأوامر من «عشق» التي كانت تدير الحدث بخبرتها الفائقة، لتخرج حلم «نور» الأول إلى النور، بمساعدة «أنس» الذي كان يعرف أن دوره في الحياة مقتصر على خدمة الآخرين وإيناس وحدتهم.

- والله يا «أنس» أنا بجد مش عارفه من غيرك كان المعرض هايبقى شكله إيه.

- والله أبدًا، كله بفضل توجيهاتك.

- إنت بجد طيب أوي يا «أنس».

قالتها «عشق» وأنهت العمل بإخلاص، ثم توجهت إلى «نور» بخبث واضح:

- حبيبي، كل حاجه بقيت زي الفل، أنا هامشي بقى عشان لو مراتك وأهلك جم.



ابتسم لها «نور» متفهمًا.

- يا حبيبتي ربنا ما يحرمنيش منك أبدًا، المهم تبقي معايا على التليفون.

- حاضر.... المهم إنت تكسر الدنيا بس.

قالتها ثم قبلته دونما اكتراث على مرأى من الجميع، لتزيد من لهيبه قبل أن تنسحب مغادرةً في هدوء، ليظل «أنس» يرمقها من بعيد ليخلق عالمه الخاص من الأحلام.

***

في عيادته بالمستشفى كان «ماهر» ينهي كشفه الأخير على تلك المرأة الأربعينية الحسناء بجانب ممرضته على سرير الكشف، فلقد كان «ماهر» من أمهر أطباء النساء والولادة في القاهرة، وإن كان معروفًا لمن يهمه الأمر، أنَّه يهتم كثيرًا بالنساء، ولكن بهذا الحرص الذي يتمتع به كل رجال المحروسة المتزوجين، تحرك ببذلته الكحلية إلى مكتبه مبتسمًا:

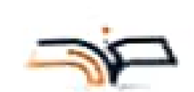
- أنا مش شايف أي حاجه تقلق يا مدام....

- «حنان».

- ما هو باين طبعًا، ههه، حقيقي مفيش حاجه خالص الحمد لله.

- معلش يا دكتور أنا برضه بطَّمن لما بشوف حضرتك.

قالتها «حنان» في إشارة واضحة لبدء الإرسال، فيبتسم لها



كاتبًا رقمه الخاص على وُرَيْقَة مناولًا إياها:

- ده شرف ليا، وده رقمي الخاص، لو حضرتك احتجتي حاجه.

- أكيد هاحتاج.

قالتها وهي تقف مبتسمة بحنان احترفته قبل أن تستأذن للخروج خاطفة نظرات «ماهر» حتى غادرت قبل أن يوجه «ماهر» حديثه إلى الممرضة:

- في حالات تانيه؟

- لأ يا دكتور.

- طب عال، إطلعي برا وخدي الباب وراكي.

بكبرياء قالها كعادته.. خرجت الممرضة في استياء ويمسك «ماهر» هاتفه ليجري اتصالًا بطليقته التي تزوجها من قبل سرًّا، فتجيبه وقد غادرت معرض حبيبها للتو:

- مش معقوله كده بقى يا «ماهر»!!

- يا عشق إنتي وعدتيني تديني فرصه تانيه!!

- مش قادره يا «ماهر» قلتلك مش قادره.

قالتها ثم أعقبت تتساءل في فضول:

- وبعدين إنت مش قلتلي إنك النهارده رايح معرض عديلك ده، مش عارفه اسمه إيه؟

- آه «نور» لأ طبعًا محدش مننا هايروح...... أنا أصلًا



مش طايق أتكلم معاه، وبعدين إنتي مالك مركزه أوي مع «نور» كده ليه؟!!!

بدأ «ماهر» يلاحظ دوره في هذا الإرسال قبل أن تعود هي لمهاجمته قائلة:

- تصدق أنا الحق عليا إني بتكلم معاك.... وقلت إنك هاتتغير، إقفل يا «ماهر».

قالتها وهي تغلق الخط، فبدا الاستياء والندم على «ماهر» الذي يتأفَّف، ومن ثمَّ تتحول إلى اتصال آخر تجريه بشيطانيتها المعهودة.

- حبيبي طمني عليك.

أجابها «نور» وسط المعرض الخالي من الحضور وهو يظهر عليه الانهزام.

- زفت.

- محدش جه من أهلك.. صح؟!

بخبث قالتها، وهو يضيف:

- ولا من أهلي ولا حد خالص، الساعة عدت ٩، مفيش غير الكام صحفي اللي انتي باعتاهم يا «عشق».

- ولا حتى «ذكرى» مراتك؟!!!

قالتها متذكرة أنه حقًّا «كيدهن عظيم».

- لأ.



بضعف قالها بينما كانت «ذكرى» في عالم آخر تحدث نفسها، وهي ممسكة بأجندتها الحمراء قائلة:

«كنت عارفه إني سايبه «نور» لوحده»

من غرفتها قالتها وإن كان قد سمعها «نور» للتو في خياله مندهشًا:

- إنتي سمعتي حاجه يا «عشق»؟

- أسمع إيه بس يا «نور»؟

- «ذكرى» هنا، إقفلي يا «عشق»..

«لا يا «نور» أنا مش هنا، وصدقني ده كله لمصلحتك»

قالتها «ذكرى» من داخل غرفة مكتبها في المستشفى وهي جالسةٌ تروي كل ما في خاطرها على تلك الأجندة الحمراء وكأنها تدون لنا كل الأحداث قبل المغادرة.

«أنا عارفه إنه لازم يكمل ويعيش من بعدي...الدنيا مابتقفش على حد»

تقولها وهي تبتسم من عند نافذة المستشفى، المطلة على المعرض من بعيد، ثم ختمت حديثها في خيالها:

«كل حاجه مكتوبه في ميعادها!!!»

سمع صوتها «نور» في ذهنه من داخل المعرض مندهشًا وهو يبحث عنها هنا وهناك، يسأل الجميع عن زوجته يائسًا!.. أبرز هاتفه ليتصل بها، ثم لاحظ الجميع ظهور تلك النجمة في الأفق، حيث كانت «أحلام» تعبر في تلك اللحظة هذا



الباب الإلكتروني للمعرض وسط ذهول الصحفيين الذين بدأوا بالتهافت عليها للتصوير، وهي تبتسم للجميع غير أنَّ وجهتها كانت محددة.. إنه «نور» وقد دُهِشَ ذهولًا من قدومها، فمكث متسمرًا دون أن يرفع لها يده ليحييها حتى ظهر من جانبه «أنس» ينبهه، ليضع هاتفه في جيبه ثم يحييها متناسيًا زوجته قائلًا:

- ها.. أهلًا أهلًا «أحلام»، معلش مفاجأه مش متوقعه خالص.

ابتسمت له ومن خلفها يُطِلُّ «لؤي» مدير أعمالها على بعد خطوات.

- بالعكس ما مفيش مناسبه هاتكون أحسن من كده ممكن تشوفني فيها.

قالتها «أحلام» قبل أن يتدخل «لؤي» مضيفًا:

- مبروك يا أستاذ «نور».

انتبه لوجوده دون أن يتعرف عليه ليوضح:

- أنا «لؤي» مدير أعمال «أحلام»، بس إنت ماشوفتنيش من يوم الفرح.

- آه أهلًا أهلًا، افتكرت حضرتك طبعًا.

- وأنا «أنس» مدير أعمال أستاذ «نور» باشا.

بسوقية تدخل «أنس» معرفًا نفسه.

تحييه «أحلام» مبتسمة، حال «لؤي» الذي كتم سخريته،



وليتدخل «نور» معبرًا عن فرحته:

- أنا بجد مش عارف أقول إيه والله.

- «أحلام» أصلًا كانت دارسه فن تشكيلي في «أمريكا» قبل ما تيجي «مصر».

قالها «لؤي» في فخر، ثم أضافت هي بتواضع:

- بس للأسف أنا ما نجحتش زيك كده يا «نور».

كانت راقية بل كانت بالفعل نجمة، شرد معها وتناسى الجميع، للمرة الأولى ينتابه هذا الشعور منذ سنين، إنه شعور غريب بالانبهار، فلقد امتلكت هي ما سعى كثيرًا في تحقيقه، امتلكت الشغف والذات، بل والشهرة والنجاح، شعر للحظات بضآلته أمام بريقها، ولكنه اندهش من رؤيتها له، رغم انطفائه، خاصة في تلك المرحلة من عمره، ظل شاردًا في أفكاره حتى استوقفتها تلك اللوحة المرسومة ل»ذكرى» تتوسط لوحاته بل وأهمها، أمعنت النظر إليها بشيء من الغيرة.

- إيه الجمال ده! أول مرة أشوف فنان بيكبر مراته كده!

ابتسم «نور» محرجًا ثم علّق بفخر صادق رغم أفعاله:

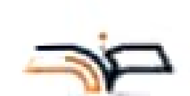
- «ذكرى» مش بس مراتي، دي بنتي، أنا مربيها على إيدي.

- حقيقي يا بخت مراتك بيك.

بغيرة غير مفهومة علقت «أحلام».

- لأ......

قالها وشرد لحظات، ثم تابع:



- حقيقي يا بختي أنا بيها.

- واضح إن كلام «دلال» كان صح.

أضافت «أحلام» في توتر.

- كلام إيه؟

- أصل «دلال» ماعندهاش سيره غيرك...

قالتها، ثم فطنت أنها كادت تفصح عن الكثير من الأسرار، لتعدل كلامها.

- قصدي غيركوا يعني.

ظهر التعجب عليه وهو يلاحظ إحراج «أحلام» واهتمامها، ولكونه يعلم أنها صديقة أخت زوجته المقربة، ظهر عليه حرصه، إلا أن بريقها منعه.

- «دلال» دي أصلها أختنا الصغيرة، وبتحب تجاملنا...

سكت لحظة، ثم أضاف منكسرًا:

- معرفش «دلال» كمان مجتش ليه؟!

- هي كانت جايه معايا فعلًا، بس إنت عارف عيالكوا متعبين بقى...

بكذب واضح علَّقت، ثم أضافت:

- بس أنا مقدرتش مجيش الصراحه، أنا كان نفسي أمتع عيني بفنك الجميل ده.

- أنا حقيقي مش عارف أقول إيه! أنا اللي حقيقي من



معجبينك بجد،

ولسه مش مصدق إنك هنا أصلًا.

- ليه بس كده! أنا حقيقي ظروف شغلي بتحدد My social life،

لكن حقيقي «دلال» من أول الناس اللي ساعدتني أول ما جيت «مصر»، وهافضل مديون لها وكل أهلها باللي وصلت له ده.

- يا بختنا...

- أفندم!

- قصدي يا بخت «مصر».

لوهلة شعرت بالإحراج قبل أن يرن جرس هاتف «نور» فإذا بها «عشق» فرفض المكالمة في ضيق لم يعهده على نفسه منذ علاقتهما، تعجبت «عشق» من رفضه، ثم استلقت على سرير ثم خلعت قميصها، وبقيت -فقط- بما يستر بعض ثدييها لترفع هاتفها وتلتقط لنفسها صورة تطلق العنان لخيال كل فنان، ثم أرسلتها إلى «نور»، مرفقة برسالة واضحة:

«مستنياك في المرسم عشان أباركلك»

استقبل الرسالة بمشاعر مختلفة، إثارة مصحوبة بشيء من القشعريرة، فلقد كانت الرسالة تعبر عن مضمون العلاقة التي حاول عقله تقنينها بالكثير من المسوغات التي تمنحه ما يحفظ به ماء وجهه، ولكن عقله لم يعد يستطيع التظاهر بكل هذا الغباء، فعلى أيّة حالٍ كانت العلاقة جنسية في المقام



الأول؛ الأمر الذي كان يجهل رفضه لهذا المسمى، فلقد شرع دينه للنكاح أسبابًا أربع منها الجمال، وأن لاحتياجه سببًا مقننًا لكل رجل، وأعطاه رخصة للتعدد يراه البعض تشريعًا للخيانة:

- Sorry، لو معطلاك عن حاجه.

عاد «نور» من شروده بسرعة قائلًا:

- أبدًا أبدًا، ده زي ما حضرتك شايفه، تقريبًا مفيش غيرك شرفني النهارده، ههه.

- مش بال»كم» يا فنان.

ابتسم «نور» لحظة، اقترب أحد الصحفيين من «أحلام» في سعادة بالغة قائلًا:

- يا فنانه نطمع في تعليق.

- أكيد طبعًا.

- طيب ممكن تقوللنا رأيك؟

- مش محتاجه رأي، أنا شخصيًا خلاص بقيت من معجبين «نور».

قالتها، فأثَّرت في نفسه بكلمة كانت أعمق من أي صورة، مهما كان عريها.

***

«حقيقي الكتابه خلتني أحس إني عايزه أعيش، ومش عايزه أموت،



بس على الأقل في حاجات كتير ممكن تعيش بعدنا في الدنيا دي...»

دونتها «ذكرى» في أجندتها قبل أن تغلقها وتضعها في حقيبة يدها وتخرج من مكتبها بالمستشفى، تسير ببطءٍ في ردهات المكان، حتى وجدت «ماهر» يخرج من عيادته هو الآخر، مرتديًا بذلة بنية اللون:

- «ذكرى» إيه اللي مقعدك لمتأخر كده؟ مش عوايدك!

- معلش يا «ماهر» كان عندي حبة شغل متأخرين.

- أنا عارف إن الإداره متعبه؛ عشان كده نفسي تدخلوني معاكوا فيها بقى، أنا خلاص بقيت واحد من العيله، كده ولًا إيه!

- أكيد يا «ماهر»، قريب أوي، قريب أوي صدقني.

قالتها «ذكرى» في عدم ارتياح، لتشعر بالخطر على زوجها الذي تشعر تجاهه بالمسؤولية كابنها، فلقد كانت تعلم براءة «نور» بالفعل، عندما يكون الحديث حول المال.

- طيب تحبي أوصلك البيت؟

- لا ما أنا جايه بعربيتي يا «ماهر» شكرًا.

ثم خرجت ليظل «ماهر» يشعر بشيء من الغرابة في حديثها. توجهت إلى سيارتها، تقودها بهدوء حتى وصلت إلى عقار العائلة، تصف السيارة وتصعد بالمصعد ومنه إلى الشقة، حتى دخلت غرفتها منهكةً، أخرجت أجندتها الحمراء ووضعتها على المكتب، قبل أن تستلقي على السرير، لبرهة شعرت



بالندم على ردود أفعالها تجاه «نور» في أمسها، أبرزت هاتفها القديم لتقوم باتصال لـ«نور» ولكنها سمعت صوت الجرس دون إجابة.. يؤنبها ضميرها شاعرةً بتقصيرها، فأرسلت له الآتي:

«نور أنا آسفه، ارجع لو سمحت، وماتتأخرش»

في معرضه وسط مجموعة من المدعوين يأخذ صورة مع الصحفي، وعن يساره «أحلام» ثم «لؤي» واثنان من المدعوين، بينما «أنس» عن يمينه، ومن خلفهم صورة «ذكرى» في المنتصف.

قبل أن يصور الصحفي تشتت «نور» برسالة وردته للتو! ليناديه الصحفي منبهًا إياه للصورة.

- الصورة يا فنان.

بضيق واضحٍ وضع هاتفه في جيبه، ليبتسم للصورة، حتى تحرك الجميع ليهنئوه رغم عدم نجاح المعرض، فلم يحضر أغلب المدعوين، بل ولم تُبع أية لوحة من لوحاته، إلا أن «أحلام» كانت قد طلبت من «أنس» شراء اللوحة الأهم، لوحة «ذكرى» الأمر الذي أغضبه كثيرًا ليتوجه إليها منزعجًا:

- أنا آسف يا «أحلام»، «أنس» بيقولي إنك كنت عايزه تشتري اللوحه دي.

أشار إلى لوحة «ذكرى» لتومئ هي بنعم، ليوضح:

- للأسف اللوحه دي. . . .هي الوحيده اللي مش للبيع.

ظهر الضيق على «لؤي» بجانب «أحلام» التي تفهمت قائلة:



- آه ما أنا كنت متوقعه كده، عشان كده اتكسفت أسأل بنفسي ودبست «لؤي».

- طيب أستأذنك بقى، ممكن أختارلك أنا لوحه، وتبقى هديه مني ليكي.

قالها بعفوية وكرم مبالغ كعادته رغم وضعه المادي، وحاجته للمال ولإثبات ذاته، وإن أثار عرضه حفيظة «أنس»، حال «لؤي» الذي اعترض وهو يرفع يده.

- لا يا أستاذ «نور» ماينفعش والله.

أمسكت «أحلام» بيد «لؤي» المعترض قائلةً:

- بالعكس، أنا يشرفني إني أقبل هديتك يا «نور».

لم يصدق «نور» الذي ظهر عليه الفرح، وكأنه فاز بمبلغ كبير ليقول:

- طب حيث كده اتفضلي أوريهالك.

- لأ...خليهالي مفاجأة..

بشيء من الود قالتها، وكأن هناك شفرة ترسل في انتظار من يفك طلاسمها.

- اللي تشوفيه، وأنا هاخلي «أنس» يبعتهالك بكره.

- معلش بلاش بكره عشان مسافره، أول لما أرجع هابلغك تبعتهالي.

- عنيا الاتنين.



قالها «أنس» ببلاهته المعتادة.

- طيب أنا للأسف مضطره أستأذن، بس حقيقي أنا انبسطت معاكوا،

وأتمنى تتكرر.

- يا ريت...

باندفاع قالها «نور» قبل أن يتزن مضيفًا:

- قصدي إن شاء الله يعني..

حيَّته بيدها وانصرفت، بينما هو على أثرها يتابع خطواتها، غير منتبه لِـ«لؤي» الذي كان مادًّا يده له، ليشير له «أنس» فيلاحظ ويحييه «نور» ومن ثمَّ يغادر «لؤي» في عقب «أحلام»، التي لم تفلت أو تهرب من نظرات «نور» حتى وصلت إلى الباب، لتلتفت إليه الذي فرح قائلًا ببلاهة:

- لفت...لفت.

لم يهتم «أنس» بكلماته وقاطعه في عتاب:

- مش كنت تاخد نمرتها يا غبي...

نظر له «نور» في استياء، لينتبه «أنس» ويصحح:

- قصدي يا «نور».......يا غبي..

من الخارج ظهر «ماهر» يترجل من سيارته متجهًا إلى باب المعرض بينما يلاحظ من بعيد «أحلام» و«لؤي» يفتح لها الباب، ليدخل هو مسرعًا إلى الداخل مرتديًا بذلته الكحلية، بينما كان الحضور يخرجون منه فور خروج «أحلام»، ليتجه إلى



«نور» المندهش بقوة قبل أن يباغته «ماهر»:

- النجمه مره واحده يا ابن المحظوظه!

لم يجب «نور» الذي ما فتئ مندهشًا ليكمل «ماهر»:

- طب تصدق بإيه. . . . . .مش هي المفروض صاحبة «دلال»؟ لكن أنا مشفتهاش في حياتي غير يوم فرحك وفرحي.

ظل «نور» صامتًا ليتجه «ماهر» بحديثه إلى»أنس»:

- «أنس» قولي إني لحقت أي لوحه، ومش كله اتباع.

يجيبه «أنس» بحسرة:

- بيعنا إيه يا حسره! ده إحنا مش مخرجين غير لوحه، ولامؤاخذه بوليشي.

- «أنس»!!!

تدخل «نور» بانفعال عائدًا من شروده، قبل أن يكمل «ماهر»:

- طيب حيث كده. . . .اتكل إنت يا «أنس»، بس جهزلي أغلى لوحتين في المعرض.

- يا «ماهر»!!!

اعترض «نور»، ليقاطعه «ماهر»:

- لأ بقولك أنا مابخدش رأيك، لازم أول لوحه من معرضك تبقى في بيتي ومن حر مالي، إسمع الكلام ياللاَّ يا «أنس»، وسيبنا شويه الله يخليك، عشان محرره. .



قالها مهويًا بيده ليذهب «أنس» متفهمًا، معطيًا المجال للأصدقاء قائلًا:

- روح يا شيخ ربنا يصلح حالك، فكرتني بالمرحوم والله.

اندهش «نور» من موقف «أنس» قبل أن يكمل «ماهر»:

- إنت لسه زعلان مني؟....طب لعلمك بقى أنا عارف إني غلطان، وأنا حقيقي آسف، بس صدقني يا «نور» أنا اليومين دول مخنوق جدًا.

يتساءل «نور» في فضول:

- ليه يعني؟ في إيه؟ أنت و»دلال» تمام؟

ينفي «ماهر» بسرعة:

- آه طبعًا، هو أنا عندي غيرها!

قالها بتلقائية كل رجال المحروسة، ليكمل «نور» تساؤلاته:

- أومال إيه؟

- عندي بس حاله خطر بس قلقاني جدًا.

بكذب علل «ماهر» خوفه، ليهدئه «نور» بسخريته المعهودة:

- طيب وإيه الجديد؟ ما ده شغلك وأنت طول عمرك دبش، معندكش دم.

- لأ ما هي دي واحده كنت أعرفها....قريبة أمي الله يرحمها.....



أكمل «ماهر» قصته المختلقة، ثم تابع أخيرًا بجملة صادقة:

- المهم بس. .تعرف غلاوتك عندي. .وتسامح أخوك.

احتضنه «نور» مشاكسًا بتلقائية وهو يقول:

- يا بني أنا سامحتك من أول ما دخلت المعرض أصلًا.

- ما هو أنا عارف إنك أهبل. . ههههه.

علق «ماهر» بسخرية جمعت صداقتهما من الطفولة:

- وأنا كمان آسف، زودتها غصب عني، ماتزعلش.

بينما هما يحتضنان لاحظ «ماهر» وقوف «لؤي» أمامه، ليترك «نور» فجأة، وينتبه إليه، فقال بسخرية:

- معلش قاطعتكوا.

- ها. . . . .»لؤي»!!

اندهش «نور» قبل أن يشرح «لؤي»:

- معلش بس «أحلام» كانت بتستأذنك في الكارت بتاعك.

ظل «نور» في حالة استفهام، ليكرر «لؤي»:

- الكارت؟!!!

يضرب «ماهر» صديقه لينتبه قائلًا:

- آه، طبعًا. . .طبعًا، اتفضل.

أعطاه «نور» الكارت فأخذه ثم استأذن وانصرف، بينما يضحك «ماهر» في خبث معلقًا بفخر:



- آهو ده الكلام يا بطل.

- كلام إيه بس يا عم «ماهر» ماتكبرش الموضوع.

- لا يا عم، واضح إن الموضوع كبير لوحده.

***



(٠٥)

خرج «نور» من المعرض في حالة يرثى لها، ليس فقط لفشله، بل كان ما في صدره أثقل من مجرد شغل، إنها مشاعر إنسانية قاتلة. فلقد أدرك لتوه تعلقه بـ»أحلام» تلك النجمة المتألقة، ليزداد شعوره بضآلته، فقد صار يشعر بضعفه، فأين ذهبت مبادئه، بل وأين ذهبت إنسانيته التي تميزه عن أي حيوان؟! فحتى الحيوان يرفض ما آل إليه حاله.. ظل يسير على أقدامه يبحث في داخله عن مصدر ضعفه، مصدر.. احتياجه الذي سحب منه قدرته الحرة على الاختيار، فأدرك للتو أنه استسلم لـ»عشق» فقط لما قدمت إليه من وجبة مجانية، فلا يكاد يختلف حاله عن أي متسول، لا يملك نزاهة الاختيار.. يزداد شعوره ألمًا كونه أصبح لا يمتلك ثمن إنشاء أي علاقة محترمة، فهو في نظر الجميع هذا الرجل المتزوج الخائن، لحظات من التأمل ظلت في خياله حتى وجد نفسه متوقفًا عند فيلا طبيبه النفسي «ضياء»، ليدخل من فوره دون استئذان، وبالطبع استقبله الرجل دون صد، وليظل هناك لدقائق كثيرة، يعيد فيها قصته دون فهم لحقيقة مشاعره التي كتمها اليوم عن طبيبه، فلقد بات الخزي يتملكه، ليحاول «ضياء» مرارًا فهم الحديث:

- أنا مش فاهم أي حاجه من كلامك يا «نور»! أول مره أحس إنك مكسوف تحكي! هو المعرض مانجحش زي ما إنت عايز؟

- أنا مابقتش عارف أنا عايز إيه أصلًا يا دكتور!

أجاب «نور» وهو يخرج هاتفه ليرسل رسالة نصية إلى



«ذكرى»:

«معلش هاتأخر شويه»

لاحظ «ضياء» توتره وكذبه، حتى أكمل الأخير قائلًا:

- واضح يا دكتور إن العيب فيا أنا فعلًا، معلش عطلتك، أنا عايز أمشي.

قالها ووقف مغادرًا بينما نظر إليه «ضياء» مبتسمًا ليقول جملته الأخيرة:

- براحتك يا «نور» أنا على طول موجود هنا، مابرحش في حته.

التفت «نور» إليه متمعنًا لبرهة ثم غادر متوجهًا إلى ملاذه الآمن.. مرسمه الخاص حيث كانت «عشق» تنتظره بفارغ الصبر؛ حيث ظلت مستلقية أرضًا بجانبه وهو يجلس على مقعده مستسلمًا لتريح ما فيه من ألم باحترافية شديدة:

- حبيبي مالك خير بس؟! إنت من ساعة ما دخلت وإنت مش طبيعي أبدًا، طب قولي إنت اتأخرت ليه ده كله؟

بعصبية يكرر «نور»:

- قلتلك يا «عشق»، رحت للدكتور «ضياء» بعد المعرض.

- أيوه يعني فهمني إيه اللي مزعلك وخنقك أوي كده، لدرجة إنك تروح للدكتور قبل ما تجيلي؟

بكذب أجاب:

- ولا حاجه يا «عشق» ولا حاجه، بس المعرض ممشيش زي



ما أنا عايز.

- إيه مابعتش لوحات؟

بتهكم يضحك «نور» قائلًا:

- هه، لا بعت، «ماهر» عديلي اشترى لوحتين.

- طب ما هو مش طبيعي تبيع كتير في أول معرض ليك ده مش فشل!

حاولت تطييب خاطره بكلمات بسيطة ولكنها كانت تجهل حقيقة حزنه ولكنها كانت تمتلك تلك القرون الاستشعارية التي أشعرتها بقدوم خطر ما.

- خلاص يا «عشق»، كفايه كلام بقى زهقتيني، أنا فاشل يا «عشق»، فاشل استريحتي!..

- أنا مقدرش أقول كده أولًا عشان إنت مش فاشل، وثانيًا عشان إنت حقيقي فنان، وثالثًا والأهم إنك هاتنجح...وبكره تشوف، بس ده أكيد مش سبب زعلك، إنت مخبي عليا إيه يا «نور»؟!!

***

من عالم آخر كانت «ذكرى» وحيدة كعادتها تنتظر قدوم «نور» المنشغل عنها بأحلامه، بعدما حول حياتهما إلى سباق، فلقد قاده كبرياء شيطانه لتدمير كل ما يمتلك، ظل يحاول إثبات نفسه إلى العالم وخاصة إليها حتى فقدها، ليتركها وحدها على سريرها تنتظره كل يوم دون جدوى، لتترسل هي إليه تلك الرسالة النصية.



«هستناك»

***

استسلم «نور» لأحضان «عشق» التي ضمته إليها كالطفل باحترافية، فلقد كانت تسعى بجد لامتلاكه، وكانت تعلم عنه ما يجهله هو شخصيًا، كانت تعلم صدقه وإن كذب، تعلم أنه كتلة حية من المشاعر الفياضة، فرغم محاولتها إشباعه جنسيًا إلا أنه كان يسعى لما هو أسمى.. كان يبحث عمن يمتلكه، كان يبحث عمن يسلمه ذاته، من يستطيع أن يفك شفرته، فلقد كان «نور» كالسهل الممتنع، يشبه المياه، من السهل إمساكها ولكنها تستطيع التسرب بأعجوبة، فهي تعطي مفاتيحها فقط لمن تريد، وتستطيع الهروب من كل ممن يريد امتلاكها، فالمياه تهب نفسها فقط لمن تريد، دون قيد أو شرط.

كان كالطفل في أحضانها، فوجهته إلى ثدييها تلقمه واحدًا إثر واحدٍ ليتجرع حنانًا كاذبًا.. امتصه كالمسكن لآلامه، قبل أن تعتليه لتلتهم شفتيه، دون أن يحرك ساكنًا، أدارت هي المعركة، وقتًا ثمينًا من المتعة الخالصة، حتى وصلت لتقضم آلة ذكورته، ضاغطةً عليه بشفتيها ويديها حتى وصل هو إلى نشوته، ليملأ فمها بكل ما فيه من طاقة، إلا أنها لم تشبع بعد، فلقد كانت شرهة تحتاج دومًا إلى المزيد، بينما تصاعدت رعشة جسده المتألم ينتفض كالذبيحة، لتتوسط جسده بفخذها الذي عصر إياه حتى هدأ، لتبتسم هي غير منتبهةٍ إلى دمعة فرت هاربة من عينيه، فلقد شعر بندم شديد، ليتأمل سقف الغرفة مستغفرًا ربه في سره، مستحيًا أن ينطق اسم ربه بلسان زان، حتى سمعها في خياله تقول بوضح:



﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

سمعها في عقله بطريقة غريبة، فنهض من فوره، واتجه إلى حمامه ليغتسل، وليزعجه للمرة الأولى الفاصل الزجاجي الذي كشفه أمام «عشق» وهي تدقق النظر فيه، وليتألم من عريه للتو، فيرتدي بذلته السوداء فور إنهاء اغتساله، بطريقة غريبة، ثم رنَّ هاتفه لِيجد المتصل رقمًا أرضيًّا غير مسجلٍ فأجاب في حذر:

- آلو!!

- «نور»؟

أجابته «أحلام» من غرفتها الشاسعة ذات الديكور العصري من سماعة لاسلكية لهاتف أرضي، مرتدية ملابس نوم أنيقة وبسيطة، وهي تحضر أغراض سفرها، تعرف «نور» على صوتها من فوره، فابتعد عن السرير إلى آخر المرسم وسط تعجب «عشق» وفضولها.

- «أحلام»؟

- بجد؟ عرفت صوتي.

- أنا لو معرفتش صوت النجمه، هاعرف صوت مين!

- أنا بكلمك في وقت مناسب؟

نظر «نور» إلى «عشق» في آخر الغرفة، ثم قال بصوت منخفض:



- آه طبعًا، بس ممكن أقفل تليفون الناحيه التانيه؟ ثانيه واحده بالضبط....ها...ماتقفليش...إوعي تقفلي....

- حاضر طبعًا خد وقتك.

أغلق «نور» صوت «المايك»، ثم توجه إلى «عشق» في توتر كاذبًا:

- معلش يا روحي.....مراتي بتستعجلني، في مشكله في البيت ولازم أروح.

لم تجب «عشق» التي كشفت كذبه للتو، فلا تنفك متسمرة في شراسة لم يعهدها عنها، بينما انسحب هو خارجًا مغلقًا الباب خلفه، وهي لا تزال قائمةً في حالة شك تحدث نفسها بصوت مرتفع:

- مراتك برضه يا «نور»!!

***

من غرفتهما كانت «دلال» تسأل «ماهر» الكثير من الأسئلة في فضول، بينما كان يجيبها، وهو يخلع ملابسه:

- يعني «نور» اتبسط إن «أحلام» جت؟!

- إلا اتبسط.

- طب وهي؟!

اندهش «ماهر» من تساؤل زوجته، واستدار إليها في تعجب:

- هو في حاجه أنا مش فاهمها ولَّا إيه؟!



توترت «دلال» قبل أن ينجدها رنين هاتف «ماهر»، ليتوتر ويهرب هو الآخر.

- معلش....هارد على الشغل وأجيلك.

خرج «ماهر» من الغرفة ممسكًا الهاتف، ليجيبها من الصالون بصوت منخفض:

- أنا مش مصدق نفسي يا روحي.

- لازم طبعًا ماتصدقش نفسك.

من المرسم أجابت «عشق» في فضولها المريب، ثم شرعت في استجوابه لتكتشف منه الحقائق، فلقد كانت متيقنة من كذب «نور» لسبب ما...والذي كان لا يزال في سيارته يتجول في شوارع القاهرة يستكمل حديثه مع «أحلام» عبر الهاتف، حتى أنهت هي حزم حقائبها والسعادة تملأُها لتقول في ود:

- أنا حاسه إني طولت عليك.

- طولتي إيه بس، أنا اللي أكيد أخدت من وقتك أكتر من اللازم.

- ماتقولش كده أبدًا بعد اللي شفته اليوم، إنت وقتك قيم بجد، بس أنا مش هاطول عليك، أكيد هانتكلم عن قريب.

- أكيد وخلي بالك من نفسك في سفريتك.

بخيبة أمل قالها.

- تصبح على خير يا «نور».

- وانتي من أهله.



بس هو أنا هكلمك تاني إزاي؟ أنا معيش تليفونك.

بلهفة تتساءل لتصدمه هي بإجابتها:

- أنا ما عنديش تليفون.

- إزاي؟!

تساءل «نور» متعجبًا، لتجيبه هي في دلال:

- بكره هاتفهم، وماتخافش أنا معايا تليفونك وهاعرف أوصلك.

قالتها منهيةً الاتصال.. يغلق هو الهاتف في سعادة، ليبدأ في الضغط على «كلاكس» السيارة، بينما قامت «أحلام» باتصال أخير، لتجيبها «دلال» التي كانت لا تزال وحيدة في غرفتها، فأجابتها مستغلة انشغال «ماهر» في هاتفه بالخارج.

- «أحلام»....احكيلي بسرعه..

بفضول تساءلت لتبدأ في قص ما حدث قبل أن ينهي «ماهر» حديثه إلى «عشق» التي عرفت ما كانت تصبو إليه، وليقترب «ماهر» من غرفته ملاحظًا انكماش زوجته من بعيد على السرير، وبهدوء يحاول اكتشاف سرهما في فضول.

***

فتح «نور» باب غرفته ليدخل مرتديًا بذلته الكحلية الأنيقة، فوجد «ذكرى» مستيقظة عكس توقعه، لتضيء الأنوار مبتسمة، فتساءل متعجبًا:

- إنتي لسه صاحيه؟!



- مش وعدتك إني هاستناك!

ابتسم لها وهو يتوجَّه إلى السرير مرهقًا ببذلته دون أي تغيير، لتتوغل هي في أحضانه بحنان وهي تضع يديها على صدره.

- إنت زعلان مني.. صح؟

- لأ يا روحي عمري ما بزعل منك.

- والله يا حبيبي أنا بجد محظوظه إني مراتك.

اندهش من تلك الكلمات الحانية ليتساءل:

- إشمعنى دلوقتي الكلام الحلو ده يا «ذكرى»؟!

- عشان أنا مابحسش بالأمان غير معاك، ونفسي أعيش معاك عمر فوق عمري.

بصدق قالتها، فلقد كانت في عالم آخر لم يعلم هو شيئًا عنه، فلم تزد كلماتها إلا ألم ضميره.. يطلق تنهيدة وهو ينظر إلى السماء مغلقًا عينيه، ليهرب من ذنبه إلى النوم، ساعات نام فيها «نور» بينما ظلت «ذكرى» تتأمله في عطف، ساعات من السكينة مرت عليها كدقائق معدودة حتى شعرت بنسيم الصباح يتوغل الغرفة، فنهضت دون أن توقظه كالمعتاد، لترتدي ملابسها في هدوء، وتخرج متوجهة إلى شقة والدها في الطابق العلوي من العقار، ولم تكن معتادة زيارته في مثل هذا التوقيت، ولم تكن تلاحظ ما كان يفتقد حتى تلك اللحظة عندما وجدته جالسًا على مائدة الطعام يأكل وحده مهمومًا.. وقفت لحظة تتأمله مستوعبة شعور أبيها الذي ضحى بحياته لتربيتها وأختها دون أن يبحث عن شريكة له بعد وفاة أمها،



فشعرت بذنب شديد عن كل يوم أفطر والدها فيه وحيدًا وهو على بعد أمتار منها، ظلت شاردة حتى لاحظ هو وجودها أخيرًا في فرحة عارمة:

- إيه الصباح الحلو ده، أنا مش مصدق نفسي!

كتمت دمعة هاربة ورسمت ضحكة كاذبة لتقول:

- أنا قلت أطلع أفطر مع الدكتور الكبير.

- يا نهار أبيض، ده انتي بقالك سنين معملتهاش، رغم إن كلنا ساكنين في نفس العماره.

- معلش يا بابا، إنت اللي حببتنا في الشغل.

قالتها وهي تقبل والدها، فأشار لها بالجلوس ليكمل فرحًا:

- طيب استني بقى أروح أزودلك طبق فول من إيديا، عشان عايزك في موضوع مهم.

بتوتر قالها قلقًا عليها قبل أن تضيف هي:

- أنا كمان عايزاك يا بابا...

***

استيقظ «نور» من نومه ليجد «ذكرى» قد ذهبت، فظنها توجهت إلى عملها كالمعتاد، فنهض متوقفًا، ثم أمسك هاتفه يتفقد أي اتصال، فلم يجد إلا بعض رسائل «أنس» يستعجله للحضور لمتابعة العمل في معرض «مصر الجديدة»، فقرر تلبية النداء، فلقد ظهر حافز جديد للتو.. وقف أمام المرآة لينظر إلى نفسه، وقد استوعب سبب نومه ببذلته السوداء



كما هي، فابتسم وتحرك إلى الخارج دون حاجة إلى تغيير، ليصل إلى مكتب معرضه بالفعل، ويبدأ متابعة سير العمل مع «أنس» الذي بدأ في تعيين بعض العمالة المؤقتة كما طلب منه حتى اطمأن الأخير ومكث في مكتبه داخل المعرض في ملل، فلم يعتد الوظيفة أبدًا.. تفقد هاتفه متمنيًا أن يسمع صوتها، حتى يئس واتصل هو بها، فأجابته من داخل عملها في شركة اتصالات:

- أنا قلت النجمه نسّتك حبيبتك.

اندهش «نور» وتوتر:

نجمه!!!

- هو مش معنى إن إنت محكتليش، إني مش هاعرف.

غضب «نور» بعدما شعر بكذبه، ليقلب عليها الأمر بحرفية:

- هو انتي مراقباني يا «عشق»!!!

جاءت كلمته في محلها ليزيد توترها بالفعل مجيبة في دفاع:

- أبدًا...إنت ناسي إن أنا اللي باعته الصحفيين؟...

كاذبة علقت بدهاءٍ وحسن تخلص، ثم تابعت بدلال أنثوي:

- وبعدين إنت مش عايزني أغِير عليك ولّا إيه؟

- لأ يا «عشق»، أنا مابحبش حد يبقى رقيب عليا، وأنا غلطان أصلًا إني اتصلت بيكي.

قالها وهو ينهي الاتصال، لتظل هي في حالة ذهول مما فعل! فلم يكن أبدًا بمثل تلك القوة.



***

على المائدة ظل «فضل» منصتًا لحديث «ذكرى» بقلق، غير متفهمٍ لطلباتها:

- إنت عارف يا بابا إن «نور» عمره ما بخل عليا في حاجه.

لم يجبها، وبدا عليه الضيق.

- وزي ما قلتلك، أنا حاسه إنه مش مبسوط في شغله، ومحتاج يلاقي نفسه في حاجه تانيه.

- برضه مش فاهم يا «ذكرى» عايزه تعملي إيه؟

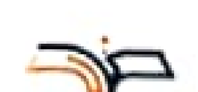
- أنا عايزه أدعمه في فنه، وعشان كده كنت هاستأذنك عايزه أفصل مادياتي عن المستشفى، خصوصًا لو هادخل «ماهر» معانا في الإداره.

برفض قاطع شرع «فضل» الحديث متهجمًا:

- بالنسبه لـ«ماهر» فمش محتاجه طول ما إنتي مركزه معايا في الإداره، الأهم موضوع جوزك، لو هو عايز يبقى صايع ويضيع تعب أبوه هو حر، لكن إنتي عايزه تعملي زيه، وتضيعي تعبي؟..أكيد لأ!!

- بابا...لو سمحت اسمعني، أنا مش صغيره، ولازم تثق فيا شويه، أنا كل اللي عايزاه إني أعرف الفلوس اللي من حقي أتصرف فيها، من غير ما آجي على حق «دلال»!!

***



(٠٦)

من مكتبه كاد الملل يقتله، فلقد مرت ساعات من وجوده بالمعرض، لا يتفهم العمل، ليعرف معلومة جديدة عن نفسه، وهي قلة صبره، كما تعجب من قدرة البائعين وصبرهم، ليزداد احترامه لهم، فلم يكن يعرف صعوبة عملهم، ساعات يقفون فيها، حتى يظهر المشتري في دقائق معدودة، لتتعلق قلوبهم باختياراته، حتى ينهي مصلحته فيعودون هم إلى أنفسهم، شعر «نور» بصعوبة عمل موظفيه فقرر أن يحسن استغلال وقته، ليقود رجاله كقدوة، فضغط على الجرس مناديًا «أنس» الذي دخل مسرعًا.

- أوامرك يا كبير، والله رنة الجرس بتاعتك بتسعدني، وبتفكرني بأيام زمان.

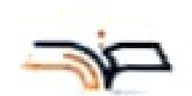
- خلاص يا سيدي، من هنا ورايح مش رايح حته، وهاكون فوق دماغكوا كل يوم من النجمه.

بانكسار قالها، فهو ثقيل النوم، لا يعرف الاستيقاظ إلا بعد تعامد الشمس على رؤوس البشر.

- يا رب دايمًا، بس برضه بلاش الانكسار ده، عادي مش طبيعي كان ينجحلك أول معرض يعني.

قالها «أنس» الذي ظن أن انكسار «نور» هو نتيجة المعرض فقط.

- والنبي يا «أنس» ملوش لزوم الكلام ده، ما انتوا هنا أهو مابتعرفوش تهببوا حاجه من غيري.



- يا صديقي، ما يحفظ المال إلا أصحابه.

- طيب نزل اللوحات بتاعتي تتباع هنا في المعرض بأي سعر، وهاتلي كل ورق الفلوس اللي علينا، أنا مش ماشي غير لما أخلصه. . .إياكش أبات.

انبهر «أنس» بتغيير «نور» ليقول بتلقائية:

- أيوه كده يا مدير، ربنا يفشلك كل معارضك يا رب.

- إطلع برا يا «أنس».

خرج «أنس» مبتسمًا قبل أن يرن هاتف «نور» من رقم أرضي يحمل كود جنوب سيناء، ليجيب من فوره:

- «ليال»!!

من داخل غرفتها الفندقية البسيطة بمدينة «دهب»، ضحكت عندما تنبأ هو باسمها، ثم سمع صوتها:

- ههه، إزيك يا «نور»؟

- أنا تمام. . . . .تمام جدًا. . . .

- قلقتك؟

- طبعًا قلقتيني. . .كل ده ماتصلتيش بيا. . . .

- ههه، بلاش بكش بقى، واسمعني كويس، فاضي يومين؟

- طبعًا.

قالها «نور» من فوره في سعادة لحظة دخول «أنس» إليه بالأوراق المطلوبة، لينظر إليه «نور» شزرًا.



- إطلع برا...

اندهش «أنس» وتوقف لحظة ثم خرج في ضيق بينما تساءلت «أحلام»:

- أفندم!!

- لأ معلش ده الكلب بتاعي...

- آه طيب، أنا كنت بفكر في فكره، وقلت آخد رأيك فيها.

- أكيد.

جلست على سرير غرفتها لتقول بشرود:

- كنت بفكر أخلي بوستر ألبومي الجديد مرسوم.

- فكره حلوه جدًّاااا.

بسرورٍ بالغٍ أجابها، وقد تفهم الفرصة، قبل أن تحرجه متسائلة:

- طيب تقدر ترشحلي حد يرسمها؟!!

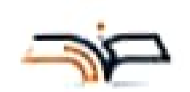
- طبعًا.

بانكسار علق قبل أن تضحك هي موضحة:

- ههه، يا «نور» بضحك معك، عايزاك إنت ترسمهالي أكيد يعني.

وقف «نور» من فوره في فرحة عارمة ليكرر ببلاهة:

- طبعًا!!



- آه بس هاتقل عليك وأطلب منك تيجي ترسمهالي هنا، في لوكيشن التصوير بتاع الكليب.

طفق يتراقص وسط المعرض على مرأى من موظفيه بينما يكرر:

- طبعًا....

- بس كنت عايزه أطلب منك طلب كمان، ممكن الموضوع ده يفضل سر بينا؟

- طبعًا...طبعًا.

- قصدي يعني مش عايزه أحرق الفكره، وإنت عارف «دلال» مايتبلش في بوقها فوله...

دفع «نور» مقعده ليكمل رقصه وسط ذهول البقية من الخارج ليقول:

- طبعًا...طبعًا...طبعًا.

- حيث كده بقى لو ينفع هابعتلك حجز التذكرة والفندق، بس يا ريت لو تقدر تيجي بكره.

- طبعًا....طبعًا....طبعًا.....طبعًا....

- خلاص هاقفل معاك و»لؤي» هايتابع معاك فورًا.

أغلقت «أحلام» السماعة ضاحكة، بينما بدأ «نور» في الغناء متراقصًا:

- طبعًا...



طبعًا....طبعًا.....طبعًا

عاد «أنس» إلى الداخل فور إنهائه الاتصال.

- «نور»!!!

- طبعًا...طبعًا

- أفندم!!!

انتبه «نور» لتوه فتوقف محرجًا ليتساءل في حدة:

- ها...

إنت إيه اللي جابك هنا يا حيوان؟!

- «حيوان»! يا عم أنا جبتلك الحسابات.

- جبتهالي ليه؟!

تساءل وهو يرتدي سترة بذلته قبل أن يكمل:

- هو انتوا صغيرين!!

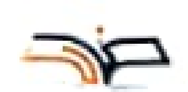
وبعدين أنا تعبت جدًّا من الشغل النهارده، ولازم آخد يومين أجازه، البركه فيكوا بقى.

قالها «نور» وهو يحرك «أنس»، ليتوجه من جانبه إلى الباب:

- حاسب كده بس..

عن إذنكوا....

خرج وسط ذهول «أنس» الذي ما انفك متسمرًا في مكانه،



بينما تناسى «نور» للتو كل أحلامه العملية وعاد هذا المتصابي الذي يلهث خلف أحلامه الوهمية دون قيد أو شرط، أخرج من جيبه ما تبقى معه من أموال مبتسمًا، لتبدأ عملية الشراء.. شراء كل ما يحتاجه من ملابس تتماشى مع هذه السفرية، حتى أتى على كل ما معه من مالٍ شاعرًا بالندم، ولتتحول نشوته إلى عتاب.. لحظات من القلق النفسي انتابته؛ فقرر التوجه إلى معالجه النفسي «ضياء» الذي كان في انتظاره كالعادة، ليبدأ «نور» شكواه:

- يا دكتور أنا خلاص بقيت بحب على نفسي، أنا مش ملاحق، أنا حاسس إني بقيت أوسخ واحد في مصر، أنا حالتي بتتأخر.

دخن «ضياء» سيجاره وهو يضحك:

- يا بني أنا اللي حالتي بتتأخر بسببك، كل يوم تيجي تحكيلي عن واحده شكل، بس كمان توصل للمشاهير كمان.....ليه؟!

مفيش رجاله في البلد؟!

- ما هو ده اللي هايجنني يا دكتور، هما ليه بيجولي أنا؟!

كان هذا سؤال «نور» الذي كان يجهل إجابته ويعلمها الجميع، فلم يكن وسيمًا إلى تلك الدرجة، بل ولم يكن غنيًّا كبقية عائلته، ما كان إلَّا هذا الفتى الطائش الحالم المتصابي في نظر الجميع، وإن زادت تلك الاختلافات من جاذبيته، غير أنها بالطبع لم تكن كافية؛ لذلك بقي يتساءل، وإن كان سؤاله الأهم هو الذي سأله للتو:



- والأهم ليه مفيش واحده منهم ماليه عيني؟!

أكنش بحلم؟!!

قالها وهو يرمق طبيبه يحاول إدراك وفصل حلمه من واقعه، ليقترب الرجل مجيبًا:

- بعيد عن الهزار يا «نور»، أنا كل اللي فارق معايا دلوقتي فعلًا، إنك فتحت الباب لـ«أحلام» رغم وجود «عشق» في حياتك.

استجاب «نور» لحديث طبيبه مضيفًا:

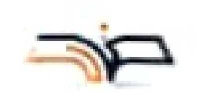
- ما زي ما فتحت الباب لـ«عشق» في وجود «ذكرى»، يعني العيب مش في «ذكرى».

بملل أكد «ضياء»، قبل أن يضع يده على أهم تفاصيل شخصيته وخباياه النفسية:

- ما هو أكيد مش العيب في «ذكرى» يا «نور»، شوف انت كل مره جتلي هنا كان بيكون في حياتك ست منوره، بس بعدها كنت بترجع تقولي إن الست دي انطفت، وفي كل مره كنت بتجرح فيها ناس مش قادره تفهمك، وفي الآخر بيبقى كل همي أنا، عقدة الذنب اللي بترجع تقتلك، ونبعد شهور نعالجها.

سكت لحظة ثم بدأ يتحدث بجدية أكثر، وهو يتجنب النظر إليه:

- مخبيش عليك يا «نور»، أنا حاسس إني المفروض أحولك لحد من زمايلي، إحنا كده محتاجينك تبدأ تاخد أدويه.



تنهد في ضجرٍ:

- أدويه؟!!

- أيوه يا «نور»، التقلب المزاجي العنيف ده، لازمله تدخل، الموضوع مش نفسي بس، كده المخ محتاج يهدا ويرتاح.

استسلم «نور» قبل أن يتساءل في طفولة وبراءة:

- طب ممكن آخدها بعد السفرية؟!

ضحك «ضياء» بأبوة متناسيًا حالة «نور» المعقدة ليضيف ببراءة هو الآخر:

- يعني قررت تسافر فعلًا!

«أكيد كان لازم «نور» يسافر!!!»

توقف عن الضحك، ليعلق «نور» متسائلًا:

- إنت سمعت اللي أنا سمعته؟

لم يجب «ضياء» وظل مندهشًا، في حين كان هذا هو صوت «ذكرى» القادم من عالمها.

***

وصل «نور» إلى المنزل في ملل، يريد التحرر كعادته من قيود الحياة النمطية، التي لا تمثله، ولا ينفع لها، كان يبحث عن التنفس، عن الهواء، عن الطاقة التي يحتاجها ليستطيع هو ملء حياة من حوله بهجة كعادته، دخل غرفته وخلع سترة بذلته البنية واضعًا هاتفه بجانب لوحة «ذكرى» التي رسمها لها، قبل أن يتوجه إليها حيث كانت تكتب على مكتبها.



- إنتي بدأتي تكتبي بجد يا روحي!!

- إشمعنى إنت بدأت ترسم يعني؟

- طب بتكتبي إيه بس؟

قالها وهو يحاول التطفل على ما تكتبه لترفض هي قطعيًا، مُبعدةً عنه أجندتها الحمراء.

- ماتستعجلش، قريب أوي هاتعرف.

سكتت لحظة ثم تابعت:

- بس يا ريت ساعتها القصه تعجبك.

من جلستها ضمها إلى صدره مؤكدًا:

- أكيد هاتعجبني يا روحي، أنا طول عمري مؤمن بخيالك، كنت بشوف فيه عالم وناس، مابفرقهمش عن الواقع اللي إحنا عايشينه.

- بجد!

- أيوه طبعًا بجد، عشان كده اشتريتلك الأجنده دي، إنتي عارفه حكايتها؟

- لأ.

- مع إني حاكيتهالك كتير، بس عمرك ما سمعتيها.

التفتت هي إليه نادمة لتتساءل بجدية وفضول، ويكرر هو فعلًا حكايتها التي قصها عليها مرارًا:

- الأجنده الجلد دي أنا اشتريتها من صالة أنتيكات،



بيقولوا إن ورقها اتكتب عليه «نوفيلا» قديمة، رواية من وقت الأندلس.

- قصة حب.

- قصة حب اتخلدت، لإن كل شخصيه اتكتبت على الورق ده بتعيش.

- ههه، يعني كل اللي هاكتبهم هنا هايبقوا عفاريت حوالينا؟

- بالظبط كده.

- طيب عال.. يالَّا خش نام عشان الحق أحضر العفاريت، عشان «الوحي» نزل.

- طيب ممكن أعطل «الوحي» دقيقة بس؟

ابتسمت له ليكمل «نور» مستحيًا:

- إيه رأيك أسيبك يومين تكتبي، وأسافر أنا كمان أنجز كام لوحه؟

قالها وصمت متوترًا، لتجيب هي بتلقائية دون أي تردد وبهدوء مخيفٍ:

- أوك.

تعجب «نور» الذي كان يجهل الكثير:

- أوك كده من غير مقاوحه خالص؟!

- وأقاوح ليه بس؟

أنا بحبك.. مبسوط؟



توتر «نور» وحاول التشتيت معلقًا:

- لا إنتي كده يا ماما كاسره ورايا أوله.

- يا أخي إنت ولا كده عجبك ولا كده عجبك.

- لا هو عاجبني، بس ممكن أكون مسافر أخونك مثلًا!

بسخرية علق لتقتله هي بثقتها قائلة:

- لا يا حبيبي أنا واثقه فيك.

- أم.....طبعًا...طبعًا...

***



(٠٧)

من أمام صالة الوصول بمطار «شرم الشيخ» كان «لؤي» بجانب سيارة «أحلام» رباعية الدفع ينتظر «نور» الذي تأخر ظهوره، وقد خرج جميع ركاب الرحلة القادمة من القاهرة.. يجري «لؤي» بملل اتصالًا به.

- إيه يا فنان، كل المسافرين خرجوا إلا انت؟

- معلش السواق كان بطيء شويه.

أجابه «نور» متوترًا ليندهش «لؤي»:

- سواق إيه يا «نور» دي طيارة!!

هكذا بكل استخفافٍ تساءل «لؤي» قبل أن تصف إلى جواره سيارة سياحية.. ترجل منها «نور» للتو، قبل أن يتأخر قليلًا للخلف فاتحًا صندوق السيارة.. أخرج حقيبته مع بعض اللوحات ملفوفة، ثم توجه إلى السائق يشكره أمام ذهول «لؤي»:

- شكرًا يا كبير، طير بالراحه وانت راجع.

- إنت جاي منين يا بني!

تساءل «لؤي» مندهشًا فأجابه موضحًا:

- من مصر، أصلي بخاف من الطيران.

هذا ما أقرَّ، وقد صدق بالفعل؛ حيث كان يهاب كل الأماكن المغلقة، خاصة تلك الأسطوانة الدائرية الثقيلة التي تخدع الجميع بخفة وزنها، وليتسارع إليها الجميع مقتنعين بسهولة



رحلتها، خادعين أنفسهم، أنهم سيستردون أنفاسهم فور ملامسة عجلاتها الأرض!

- هه، طب مقولتش ليه يا بني؟! ما «أحلام» كمان بتخاف من الطيران، عشان كده بتجيبنا بالعربيه.

بسخرية علق «لؤي» قبل أن يتجه ليساعده في وضع أمتعته بالصندوق قائلًا:

- طب اتفضل الأول بس ونكمل كلامنا في العربيه.

وضعا الأمتعة وركبا، ليقود «لؤي» متابعًا الحديث:

- طب المهم الطريق كان كويس؟

- طين...

أجابها ضاحكًا حيث كان الطريق أطول بالفعل مما يعتقد.

- ههه، هو انت أول مره تروح «دهب».

- الصراحه آه.

ببهجة طفولية أجاب ثم تابع موضحًا:

- متعود على «شرم».

- «شرم» أحلى كتير الصراحه، بس «أحلام» هي اللي غاويه «دهب».

قاطع حديثهما رنين هاتفه.. وإذا بها «عشق» فرفض مكالمتها متبرمًا؛ ما أدى إلى إشعال غيرتها؛ لتركل هي إحدى لوحاته من مرسمه الذي وصلت إليه توًا، ثم أجرت اتصالًا



ب»ماهر» في تطفل معتاد.. يجيبها من داخل عيادته:

- أيوه يا روحي.

- أنا عايزه أقابلك ضروري.

قالتها في عنف وغيرة، فلقد جهل «نور» كيف تكون لسعة النيران حين يتلاعب بها فوضوي، ولم يكن «نور» بالنسبة إلى «عشق» مجرد رغبة، بل هدفًا وغاية، لم يكن محطة في الطريق، بل هو كل الطريق إلى منتهاه، الأمل الذي ضحت بكل غالٍ ونفيس -ليس إلَّا- للوصول إليه، والآن وقد باتت تظن نفسها تمتلكه لن تتقبل أبدًا -بحالٍ- فكرة التخلي أو التنازل عنه، تلك كانت الفاتورة التي يجهلها، فالبشر لا يتخلون عن واقعهم بالسهولة التي يتخلون بها عن أحلامهم!

***

وصل «نور» رفقة «لؤي» إلى الفندق.. وعلى الفور انتابه شعورٌ غريب غمره تجاه المكان الذي كان مختلفًا؛ فهو يقل فخامة، وذلك بعد تخليه عن المكان الذي تأوي إليه النجمة وفريقها، وكانت تلك هي روح «دهب»، فالفندق عبارة عن صالة صغيرة لا تزيد على العشرين مترًا، طاولة وحيدة بها عاملا الاستقبال المبتسمان بود وراحة، يعكسان راحة باليهما، وبساطة حياتهما.. أنهى «لؤي» إجراءات التسجيل ثم أعطاه مفتاح غرفته، وتوجه به خارجًا ليعرفه بأبعاد المكان الذي أحبه من فوره، حيث كان الممر المؤدي من الاستقبال إلى الشاطئ هو نفسه المؤدي إلى مداخل الغرف المصطفة على الجانبين، فقط عشرون غرفة، عشر عن اليمين ومثلها عن اليسار..



يتوسط هذا الممر الكثير من النباتات الملونة التي تتعامد عليها أشعة الشمس في غزل عذريّ بديع:

- الفندق هنا بقى يا فنان cozy

- ما واضح فعلًا.

أجابه «نور» ولمّا يدرك مقصده بعد.

- لأ إنت مش فاهمني، بقولك cozy

يعني أي حاجه وكل حاجه، متع نفسك.

- ههه، فهمتك.

كاذبًا أجاب «نور» وليقصده «لؤي» غامزًا بعينه متسائلًا:

مش الفنان..تشكيلي برضه؟

بشيطانية قالها، ثم أشار إلى ذاك الفناء موضحًا:

- تعالَى بقى أفهمك.. هنا الأوض منك للهو علطول، حاجه كده مليطه، إدي لخيالك العنان يا صاحبي.

لم يبدِ استجابةً، وليمل الأخير منه مشيرًا إلى غرفته:

- هنا أوضتك، وده البحر اللي في وشك، وهما بيصوروا فيه هناك آهو.

لبرهةٍ يسيرة شرد «نور» على وقع كلماته، وعينه إلى البحر.. تحرَّك صوبه جارًّا حقيبته بعفويّة، واللوحات أسفل إبطه، بينما «لؤي» يحاول لفت نظره.

- «نور».... يا فنان..... يا تشكيلي..... يا متعفن.



لم يسمعه «نور» الشارد ليضيف «لؤي» محدثًا نفسه:

- شكله مش تشكيلي خالص الواد ده...

ظل «نور» يتقدم إلى البحر الذي ناداه كالنداهة، عابرًا ممشى «دهب» الشهير، ليجد بعده الشاطئ الذي كان الآن منطقة التصوير، وإن لم يكن المكان مزدحمًا نظرًا لطبيعة «دهب» فلم يبالِ أحد بالتصوير، فكل من هناك في ليلاه، يلقي الجميع في البحر همومهم ليرجعوا إلى مدنهم أقل نضجًا ولكن أكثر نشاطًا، بسهولة استطاع «نور» أن يجد «أحلام» تناجي البحر في أغنية رومانسية، دون أي استعراضٍ، فقط هي تحدث البحر بملابسها البيضاء، ليظل «نور» هناك شاردًا في حسنها وكلمات أغنيتها.

***

من غرفتها أنهت «ذكرى» كتابتها، لتتوقف لحظات تستعيد أنفاسها، مستنشقة نسيم كلمات مشهدها الذي أنهته للتو، ليظل صوت الأمواج يغازل خيالها للحظات، فابتسمت وفتحت مذياع أغانيها؛ حيث بدأت «أحلام» تنشد إحدى أغانيها، لتتمايل «ذكرى» برأسها على أنغام «أحلام» ثم توجهت إلى نافذتها تتأمل الليل وسكونه، فشعرت برهبة من صمته، وكأنه يذكرها بنهاية الرحلة ووحشة المجهول، لتحاول «ذكرى» استرجاع شمس بحرها، فعادت إلى مكتبها لتكمل قصتها.

***

- في إيه يا «نور»؟!

تساءلت «أحلام» مندهشة حيث ظل «نور» صامتًا وكأن شيئًا



قد منعه أو أوقفه للحظة عن الحديث، وكأنه ينتظر الملقن ليذكره بكلماته، حيث كان لا يزال تحت تأثير أغنية «أحلام» شاردًا في تألقها الذي أعماه عن الواقع، قبل أن يستعيد أنفاسه وكأنه عاد للتو للحياة، ليقول برومانسية:

- معلش كنت سرحان في جمال الأغنيه.

ابتسمت «أحلام» التي كانت أنهت تصويرها للتو، وقد صار المكان أكثر هدوءًا، إلا من «لؤي» الذي ظل يقتلهما بنظراته.

- Thanks so much

بحرارة شكرته قبل أن تلاحظ حقيبته لتعلق:

- إيه ده إنت لسه بشنطتك؟ تعالى يالا نروح نوديها الأوضه.

ظل «نور» متسمرًا، لتمسك هي بيده بتلقائية وتواضع:

- أنا حجزتلك الأوضه اللي جنبي علطول، تعالى.

قالتها وتحركا سويًا وهو في حالة ذهول، حتى وصلا إلى غرفته بعد بضع خطوات، لتكمل هي مدافعة عن اختيارها:

- معلش الفندق بسيط، بس أنا بحبه من ساعة ما جيت مصر.

- بالعكس المكان مريح جدًا.

بصدق علق لتصدقه بالفعل، مريحًا إياها من استكمال دفاعها.

- طيب يارب بس الأوضه تعجبك، هات مفتاحك.



قالتها وهي تخطف المفتاح من يده بأريحية لتفتح هي الغرفة، ويدخل «نور» حاملًا حقيبته، من جانب «أحلام» المتوقفة عند الباب، ليقول بحرج شديد:

- شكرًا.

بخجل شكرها لتكمل هي بمراهقة:

- أنا...

أنا هاروح أتمشى شويه على الممشى، لو حبيت.... ممكن تجيني بعد ما ترتاح.

بسرعة ألقى «نور» حقيبته ولوحاته أرضًا ليقول:

- أنا ارتحت خلاص.. يالا بينا.

***

من أحد مطاعم القاهرة بدأ «ماهر» يلاحظ اهتمام «عشق» المبالغ بـ«نور» وتكرار أسئلتها، فلقد فقدت هدوءها منذ امتنع «نور» عن إجابة اتصالاتها، ليجن جنونها، وتفقد حرصها، فلقد كانت تلك فاتورتها، فلكل علاقة ثمن، عكس الحب، فهو غير مشروط وإن كان هذا هو شرطه الوحيد:

- «نور».. «نور».. «نور»!!!! هو في إيه يا «عشق»، ماتخليش الشيطان يلعب في دماغي.

- مالك يا «ماهر» في إيه؟

- ما هو مش معقول، كل كلامك عن «نور»، زمان كنت بحكيلك عليه، عشان حالته وكان صعبان عليا.



قالها «ماهر» مشيرًا إلى علة «نور» التي كانت سر جاذبيته من الأساس! قبل أن يكمل في شك وريبة:

- بس دلوقتي ليه كل كلامك بقى عليه؟!!

- عادي يعني يا «ماهر»، زي ما إنت قلت صعبان عليا.

- لأ يا «عشق» في حاجه غلط، أنا صحيح بحبك، وممكن أعمل أي حاجه عشان أرجعلك، بس أنا راجل يا «عشق»، اقعدي مع نفسك كده بقى وفكري وقوليلي إنتي عايزه إيه؟؟

قالها وهو يقف تاركًا الحساب على المائدة في غضب، قبل أن يقول جملته الأخيرة:

- «نور» خط أحمر يا «عشق، خط أحمررر.

قالها وخرج والشك يقتله، فهل يخونه أقرب صديق له؟! صدمة أدركها «ماهر» في قلق، فلم يكن «نور» مجرد صديق، بل عَهِده أخًا، فلم يمتلك «ماهر» عائلة مثل «نور»، بل كان يتيمًا وحيدًا، وهذا ما لم ينتبه إليه «نور» من البداية، لم يلحظ أن الجميع يطوف حوله، ليتناسى هو أحوال من حوله منشغلًا في الشكوى مما ينقصه، وإن كان هو يمتلك ما يتمنى كل من حوله، خاصة صديق عمره الذي ترعرع في عائلة «نور» متمنيًا أن يصبح منهم بالفعل، فلم يكن أفاقًا من البداية، بل كان محتاجًا حال الجميع، يبحث عما يفتقد، فكما ظل «نور» يبحث عما يفقد في المرأة أو الشغف، كان «ماهر» يبحث عن العائلة والأمان، ولكل منهما قصة ودافع. أمسك «ماهر» بهاتفه وحاول الاتصال بـ»نور» الذي كان الآن بصحبة «أحلام» في أحد فنادق «دهب» والذي يتكون من طابقين، الأعلى



كان عبارة عن سقف خشبي، عليه بعض الجلسات العربية البسيطة، حيث جلست عليها «أحلام» تنظر إلى البحر بجانب «نور» الذي لا يزال منبهرًا بها، حتى رن هاتفه باسم «ماهر» ليرفض «نور» المكالمة، وتنظر له «أحلام» قائلة:

- عشان كده ما بمسكش موبايل.

- مش فاهم!

- عشان بيسرق لحظاتنا الحلوه يا «نور»، والعمر لحظه ما بترجعش مره تانيه.

بعمق أدهشه، قالتها ليعلق:

- بس من غير الموبايل كان زمانا متأخرين جدًا.

- بالعكس، تخيل يا «نور» كام مره في حياتك، نزلت من بيتك عشان تعمل حاجه وسبب مكالمه جاتلك عملت حاجه تانيه.

بسخرية يوافقها «نور»:

- كل يوم تقريبًا.

- طب تخيل في حياتك اتنين، بيروحوا كل يوم الشغل، واحد معاه تليفون، والتاني ما معهوش، شوف ده هايخلص شغله في أد إيه،

والتاني هايخلص شغل في أد إيه؟

تعجب «نور» بمبدأ «أحلام» مجادلًا:

- بس بالمنطق ده، مش هانعرف مين عيان ومين بيموت.



- Exactly

ده اللي أقصده يا «نور»

الـ Quality time، عمر ما الالتزامات بتخلص ومابقاش في

الـ Quality time اللي إحنا محتاجينه!

انتبه «نور» لكلماتها ليتعرف على التو إلى «أحلام» التي تخلت عن بريقها، وتكلمت بإنسانية موضحة:

- وإنت مع ابنك بتتكلم في الشغل،

وإنت في الشغل بتكلم مراتك،

وإنت بتتكلم في التليفون،

بيقاطعك تليفون تاني،

وفي الآخر مابنعملش حاجه بـquality

وعشان كده طاقتنا بتخلص يا «نور»،

لو في حد مات مش هايفيدك تعرف وإنت في الشغل،

بالعكس إنت ممكن في شغلك تنقذ حياة حد تاني لو اتقيت ربنا فيه.

أنهت «أحلام» كلماتها لتجد «نور» يحدق فيها بشكل مهيب، فلقد كان بالفعل منبهرًا بها، ولكن ليس بنجوميتها كما كان:

- يا «أحلام» أنا مش بس منبهر بيكي وبفنك، أنا منبهر بكلامك وعقلك.



استطاع «نور» لتوه كسب نقطة لدى عقل «أحلام»، هذا العقل المغلق بإحكام والذي لم يعرف طريق مفتاحه الكثيرون الذين فُتنوا بتألقها وتناسوا هويتها الأصلية:

- Wow,That's was not expected.

- ولا أنا الصراحه.

انزعجت «أحلام» من صراحته ليعلل:

- آسف.. بس قصدي يعني زي ما قلتلك، مانكرش طبعًا إني لسه مش مصدق إني قاعد معاكي أصلًا، بس الأغرب إنك كمان عكس توقعاتي، كلامك أكبر كتير مما كنت أتخيل.

- ما هو إحنا كبار فعلًا يا «نور».

قالتها لينتبه «نور» في لحظة إلى تلك الحقيقة، فلم يفصله عن الأربعين إلا سنتان، ثمانية وثلاثون عامًا مضت وهو لا يزال يلهث خلف ما وصل إليه جميع من في مثل جيله، فهو لا يزال يبحث عن عمل يؤمن به وامرأة يسكن إليها، وكان هذا بالتحديد ما حققه جميع زملائه، لحظات طويلة من الانكسار عبرت في خيال «نور» الذي لا يزال يتلقى مساعدات مادية من أمه، وها هو هنا غير مبالٍ لابنته «فرح» التي أهملها في طريقه للبحث عن ذاته.

- معلش أنا آسف لازم أعمل تليفون ضروري.

قالها وابتعد ليقوم بالاتصال بابنته التي كانت عند «دلال» كعادتها:



- بابا إنت فين بقى؟ وحشتني.

سكت «نور» لحظة ثم أجاب:

- إنتي أكتر يا «فرح»، إوعي تزعلي من بابي أبدًا.

تنهدت بنت ست السنوات، لتقول:

- أنا مش زعلانه منك يا بابي، أنا عايزاك.

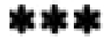
- حاضر يا «فرح» قريب خالص هابقى معاكي.

- يا ريت يا بابي.

- دلوقتي خليكي مع مامي وماتخافيش.

قالها وأغلق الهاتف ليتركها لدموعها وافتقادها، ليظل شاردًا في هذا البحر الهادئ يلوم نفسه، قبل أن ينتبه إلى «أحلام» التي كانت ترمقه من بعيد في انكسار، فلم يدرك «نور» أن القليل مما يمتلك كانت تعجز تلك النجمة عن شرائه!

لحظات من الصمت، أدرك «نور» أن رغم أهمية هذا الاتصال، إلا أنه قد حرمه من متعة تلك اللحظة التي كان حالمًا فيها، فاقترب مبتسمًا إلى «أحلام» التي كسبت للتو رهانها، وهو يلقي من أمامها هاتفه أرضًا، في رسالة لإيمانه بعقيدتها.





(٠٨)

استيقظت «ذكرى» في الصباح وحيدة مستغلة انشغال «نور» وسفره لتكمل ما كانت تنوي فعله في غيابه، فلقد كانت تريد تأمين حياة «نور» عند غيابها، فلم تكن مطمئنة للتدخل الجراحي، شاعرة بمسؤولية أمومية تجاهه، هذا الطائش الذي سينهار إذا تُرك وحيدًا ولو لساعات قليلة، توجهت «ذكرى» إلى البنك لتفعيل وديعة خاصة لصالح «نور» ليجد من بعدها مصروفًا كافيًا لحياته وفنه، تصرف أمومي خالص، لم تكن تعرف مردوده على كرامة «نور»، ولكنها لم تكن لتأبى على أي حال:

- كده يا فندم كل حاجه خلصت، والوديعه اتربطت لحساب المستفيد خلاص.

قالتها موظفة البنك منهية الإجراءات التي طلبتها «ذكرى» للتو، لتخرج مطمئنة متوجهة إلى مستشفى آخر لتكمل التحاليل المطلوبة بعيدًا عن أبيها.

***

من داخل مرسم «نور» كان الجنون يملأ «عشق»، عاميًا بصيرتها، فلقد علمت بظهور تلك النجمة، فإن علمت «أحلام» حقيقة معدن «نور» النفيس لن تتركه بسهولة، وبالطبع لن تستطيع «عشق» منافستها، إلا بتقديم المزيد من التنازلات، ليزداد شعورها بالخطر، وتستمر غاضبة في محاولاتها الاتصال بـ«نور» الذي ظل هاتفه يرن وحيدًا في غرفته، بعدما وعد الأخير «أحلام» بتركه للهاتف طوال فترة تواجده معها، ولا



يفعلها رياء، بل صدقًا لما آمن به من عقيدة جديدة اقتنع بها للتو:

- تصدقي القعده من غير موبايل ده إحساس تاني خالص؟

من شاطئ الفندق قالها «نور» وسط الشمسيات والشازلونجات، حيث كان يجلس في جلسة عرباوية بجانب «أحلام» المستلقية على ظهرها بأريحية مستعينة بغطاء عريشي ليدفئها في تلك الساعة المتأخرة من الليل.

- عشان تعرف بس.

- أنا مكنتش أتوقع بساطتك دي أبدًا الصراحه.

مبتسمًا قالها، لتقول هي بثقة دون كبرياء:

- مش هانكر يا «نور»، إني عارفه أنا مين، بس أولًا كل بني آدم في الدنيا بيكون ليه مجموعه من الشخصيات بيبقى براحته معاهم و»دلال» منهم، عشان كده طبيعي إن قارنتك ليها قصرت كتير.

ظهر الحرج على «نور» الذي تذكر زوجته للتو، لتلاحظ هي بذكائها وتكمل قائلة:

- ثانيًا بقى أنا أتولدت وعشت بأمريكا، قبل ما آجي على مصر، وده يمكن خلاني أتعلم منهم، إني محكمش على حد أبدًا.

بذكاء قالتها ليرتاح «نور» لحظة، قبل أن تضيف الحقيقة:

- ثالثًا بقى أنا كنت بسمع عنك، وعن حكايتك كتير.



- حكايتي أنا؟!

توترت «أحلام» لتخفي سرها قائلة:

- ما هو ده رابعًا يا «نور»، إنت بجد مختلف.

بتعجب وفخر تساءل «نور»:

- إشمعنى!

- إيه إللي إشمعنى يا «نور»!

إنت شاب وسيم وفنان، غني ومحترم، وكمان ناجح Etc. يعني.

- لأ إلا ناجح دي، ده أنا كنت هاصدقك.

بانكسار سخر «نور» لتشرح هي صدقها:

- إنت ناجح فعلًا يا «نور».

هرب «نور» بنظره، لتضيف وهي تعتدل في جلستها أسفل هذا الغطاء الصوفي:

- خروجك من جلدك، وعومك ضد التيار، وإصرارك على حلمك، وتحقيق أول خطوة فيها، ده في حد ذاته نجاح.

أمسكت «أحلام» بوجه «نور» لينظر إليها قائلة:

- عارف ليه؟

- ليه؟

أجاب «نور» بملل يائسًا:



- عشان ربنا عادل يا «نور»، وعمره ما بيضيع تعبنا، وما بيزرع حلم في قلوبنا، إلا وعارف إننا ممكن نحققه.

اقترب «نور» بخجل إلى جانب «أحلام» قبل أن يقاطع حديثهما «لؤي» في الضيق:

- يالا يا «أحلام» الوقت اتأخر!!

- أفندم!!!

اندهشت «أحلام» من تدخل «لؤي» الغريب، فليست قاصرًا هي أو ضعيفة، وإن كانت كذلك في تلك اللحظة؛ الأمر الذي شعر به «لؤي»، فلم يعهدها بدون تحفظها من قبل، كانت دومًا قليلة الكلام، متوحدة في عالمها، فلقد كانت الحقيقة أنها لم تخلق لهذا العالم بل لعالمه منذ البداية، خلقت لتحلق معه دون قيد أو شرط، عكس جميع العلاقات مدفوعة الثمن، كان بينهما شيء خاص غير مشروط.

- يا «أحلام» إنتي عندك تصوير تاني الصبح، وبعدين إنتي ضيعتي اليوم كله مع......

مشيرًا إلى «نور» قالها ليستشعر الأخير الحرج والإهانة، ليتوقف من تلك الجلسة:

- آه حقيقي أنا فعلًا أخدت أكتر من وقتي النهارده، أنا حقيقي آسف.

أمسكت «أحلام» بيد «نور»، وبلهجة آمرة لا تحتمل نزاهة الاختيار قالت:

- اقعد لو سمحت.



- لأ يا «أحلام».

تعجبت «أحلام» التي كانت لا تزال تجهل معدن «نور»، فهو هذا الفتى الذي نشأ في عائلة ميسورة، غُمر بحنان والديه، كما غمره الخالق بنعمه؛ فصار هذا الشاب المستقل بعقله عكس الجميع، لا ينافق إنسيًّا، فلم يحتج منهم أحدًا، ليكمل قائلًا:

- هو صحيح أنا مش نجم زيك يا «أحلام»، بس أنا برضه مابخدش أوامر من حد، عن إذنكم.

تحرك «نور» مكسورًا ولكن بحريته التي كانت أثمن ما يملك، لتقف «أحلام» في غضب معنفة «لؤي»:

- إنت اتجننت يا «لؤي»؟!

غضب «لؤي» الذي أفقدته الغيرة سيطرته، لينفعل قائلًا:

- إنتي اللي اتجننتي ونسيتي نفسك يا «أحلام»، قاعده مع الواد ده من الصبح قدام الناس، ولا همك الناس، ولا جمهورك.

تحولت «أحلام» للدفاع متوترة:

- أنا عمري ما همني كلام الناس يا «لؤي»، وبعدين هو إنت شايفني قاعده معاه في أوضته يعني!

بنبرة أهدأ تابع «لؤي»:

- «أحلام» إنتي مش شايفه كنتوا قاعدين ازاي؟!

- عادي يا «لؤي» ما انت ياما شوفتني مع معجبين.



- ما هو المصيبه إن الإعجاب مكنش في عينه هو يا «أحلام»!!

قالها «لؤي» بغيرة واضحة كاشفة حقيقة تمنى أن تنفيها «أحلام» التي زادت من لهيبه بصمت طويل أنهته بكلمات ثقيلة:

- وفيها إيه يا «لؤي»؟!

ما أنا ضيعت عمري عشان أفتح بيوتنا كلها، ما فيهاش حاجه لما أحب واتحب زيكوا.

قالتها متذكرة حياتها بعدما فقدت أغلبها في لحظة من النجومية التي امتصت سنوات عمرها دون أن تحقق أقل حقوقها الإنسانية في إنشاء أسرة سوية.

- متأخر أوي يا «أحلام»، وبعدين إنتي نجمه، نجمه يا «أحلام».

حاول «لؤي» التلاعب بعقلها كالعادة، فلقد صار مدمنها، أدمن امتلاكها ولم يعد يستطيع تحمل فكرة امتلاك شخص لها، فلقد كانت «أحلام» نجمة مضيئة يتصارع الجميع على نورها، متناسين أن مصدره بدأ ينفد، فلم يشحن أي منهم طاقتها، بل استنفدوها بأنانية، حتى كادت تنطفئ.

- لأ...

لأ يا «لؤي»، أنا بني آدمه، وفنانه كمان، بحس وبتوجع.

- والفنانه دي أول ما تفتكر نفسها، تبص لراجل متجوز، وهي



نفسها اللي غنت في فرحه؟!

قتل إحساسها بكلماته الطائشة، ليندم على فعلته مقتربًا قبل أن تمنعه قائلة:

- سيبني لو سمحت يا «لؤي».

- «أحلام» أنا آسف..

- إنت مش فاهم حاجه يا «لؤي»، ولا عمرك هاتفهم....

حاول الاقتراب منها مجددًا لتدفع إياه بقوتها الصارمة.

- ولو سمحت سيبني لوحدي قلتلك.

انسحب «لؤي» لتظل «أحلام» وحيدة تناجي البحر متألمة، تصبّر نفسها بدندنة غنائية لم تحتج إلى أي عزف، فقد كانت تناشد الأمواج التي كانت تعرف بالفعل قصتها، بينما وصل «نور» غرفته في حزن شديد، فاستلقى على سريره يسترجع ما قاله «لؤي»، يتكرر مرة تلو الأخرى على مسامعه، ليزداد شعوره بالفشل، ليحدث نفسه في سره:

«عنده حق، إنت لسه ولا حاجه، سايب شغلك وبيتك وجاي تجري ورا نجمه في السما، لغاية ما هاتقع على جدور رقبتك».

قالها لنفسه ثم قرر النسيان مستعينًا بحبه الأساسي كما سماه، ليقوم بالاتصال بزوجته «ذكرى»!

***

من على مكتبها كانت «ذكرى» لا تزال تكتب، مستعينة



بضوء النهار في تركيز شديد قبل أن تلاحظ رنين هاتفها من «نور» يتصل بها من رحلته، لترفض هي الاتصال لتكمل كتابة قصتها.

***

من غرفته سمع «نور» صوت الرسالة الشهيرة:

«الهاتف الذي تحاول الاتصال به ربما يكون مغلقًا أو خارج نطاق الخدمة»

انزعج «نور» ناظرًا إلى السقف في ملل، كعادته ملول، لا يتحمل الوحدة ولو للحظة، فأمسك بهاتفه ليقوم باتصال أخير:

- «نور»...

إنت فين يا «نور» كل ده؟!!!

- عايز أنام يا «عشق».

- أفندم!

تساءلت من مرسم «نور» لتكمل بحنان:

- في إيه يا «نور» ماتقلقنيش؟

- بقولك عايز أنااام.

مُغلقًا عينه قالها، لينام، ليمتزج واقعه مع الأحلام، حتى انزعج في الصباح على صوت هذا الطرق المتصاعد، استيقظ «نور» منزعجًا وينهض متعجبًا حيث نام بملابسه الشاطئية، حاول استجماع ما حدث، ثم توقف وتوجه إلى الباب ليفتحه، ليؤذي ضوء الشمس عينيه المعموصتين، قبل أن تقلل حدة



الضوء ظلالها حيث اقتربت «أحلام» إلى الباب، ليتفاجأ بها «نور» وينسحب خطوة إلى الوراء:

- «أحلام»!!

- صباح الخير.

- صباح النور.

- صحيت؟ ممكن أدخل؟

- آه طبعًا.. طبعًا، اتفضلي.

دخلت «أحلام» من بعده وأغلقت الباب خلفها بجرأتها المعهودة، لينسحب «نور» قلقًا ويجلس على السرير.

- أنا جايه أعتذرلك من الموقف السخيف اللي حصل من «لؤي» امبارح.

- ملوش داعي يا «أحلام»، أنا والله لو كان معايا عربيه، كنت نزلت «مصر».

- حقك.

بقوة قالتها وهي تتحرك من أمامه كالمحققين، ثم تابعت بوضوح كان من أهم صفات شخصيتها التي تفاجأ بها «نور»:

- بس بجد أنا أتمنى إنك تكمل معايا، عشان أنا كنت مبسوطه جدًا امبارح.

نظر لها «نور» بترقب لتُحرج وتكمل كاذبة:

- وعشان اللوحه كمان.. ولّا إيه!



ببلاهته المعهودة ابتسم «نور» قائلًا:

- ههه، طبعًا... طبعًا.

- يعني هاتقعد؟

فرحت متسائلة، ليجيب مبتسمًا:

- أيوه.

- أيوه كده من غير مقاوحه خالص!

ساخرة تساءلت، ليمازحها قائلًا:

- إطلعي برا يا «أحلام».

- خلاص ماتزقش...

مبتسمة خرجت، ثم التفتت إليه عند الباب مضيفة:

- هاستناك على البحر.

قالتها وهي تغلق الباب غير منتبهة إلى «لؤي» الذي صُدم عند رؤيتها، وهو يتحرك مع أحد المصورين متوجهين إلى البحر لبدء العمل، بينما كانت من أمامهما تسبقهما إليه، قبل أن يتساءل المصور الذي يتحرك مع «لؤي»:

- هي «أحلام» خارجه من أوضة مين؟!

***

من غرفتهما استيقظ «ماهر» بهدوء من جانب زوجته النائمة، إلا أنها شعرت بحركته، لتنهض قبله من فورها، نظرت إلى الساعة ثم تساءلت متعجبة، لمَّا خلدت للنوم قبل أن يظهر



بالأمس:

- هو إنت رجعت إمتى امبارح؟ وكنت فين كل ده؟

- يا «دلال» قولي صباح الخير الأول، وبعدين هاكون فين يعني....

مع نسوان مثلًا!!!

بعصبية قالها، لتتعجب «دلال» التي لم تعنِ أي لوم:

- حبيبي أنا مقلتش كده أنا آسفه، أنا بس قلقت عليك.

تحرجه بأدبها المعهود، ليعتذر من فوره:

- أنا اللي آسف، أصلي قلقان على «نور» من امبارح، ومش عارف أوصله من امبارح.

- عجيبه ده إنت الوحيد اللي كنت بتعرف توصله في المكان اللي بيبعد فيه!

قالتها ببراءة، لتلفت انتباه «ماهر» لمرسم «نور» للتو!!

- بس روح المعرض الأول يمكن تلاقيه هناك.

***

من معرض «مصر الجديدة» وصلت «عشق» في حالة يرثى لها وقد ظهر عليها السهر، لتقصد «أنس» الذي توقف في سعادة بالغة ليستقبلها بحرارة:

- «عشق» أهلًا أهلًا.

- أهلًا يا «أنس» صباح الخير.



- يا صباح الهنا.. «نور» معاكي؟

- هو مش هنا؟

- وهو «نور» بيصحى دلوقتي يا «عشق»؟

علق «أنس» ساخرًا، لتدمع «عشق» ويقترب «أنس» منها في توتر وقلق:

- خير يا «عشق»؟ ما تقلقنيش.

***



(٠٩)

من على الشاطئ كان طاقم العمل كله يجلس سويًّا، يتسامرون وهم يتناولون الإفطار قبل بدء التصوير، كل طاقم التصوير من رجال وسيدات مصطفون حول «أحلام» الجالسة بين «نور» و«لؤي»، أغلبهم كان في العشرينات أو الثلاثينات من أعمارهم، الجميع مستمتع بفكرة «أحلام» وخروجها عن النص كعادتها واختيار تلك البقعة الجميلة التي تريح البال، كما كانت تعامل الجميع بمودة بالغة، فهي كانت خير قائدة للفريق، تهتم بالصغير قبل الكبير، لذا كانوا يحاولون إظهار أكثر ما فيهم من إخلاص في عملها؛ إيمانًا بإنسانيتها قبل أي شيء، حال «نور» الآن الذي ظل يمازح الجميع بأريحية بعدما أعطته «أحلام» بعض الثقة وسط الجميع، ليبدأ في جذب شعبية من فريقها.

- إنت طلعت مسخره يا «نور».

قالتها إحدى عضوات الفريق، ليستحي «نور» شاكرًا في أدب، لتعلق أخرى:

- ههه، يا كوكو... دا كيوت خالص.. والله.

- كفايه غلاسه بقى وسيبوا الراجل لحاله.

مقاطعًا قالها أحد الشباب قبل أن يضيف:

- طب إنت النقد ده كان بيضايقك يعني يا «نور»!

عاد «نور» إلى الحوار مستعيدًا جديته ليجيب قائلًا:

- ما هو زي ما قلتلك يا صاحبي، الفرق بين الهاوي،



والمحترف، طريقة النقد، الواحد منا أول ما يدرس أسبوع في أي مجال فني، يبدأ يمشي يهزأ في خلق الله.

كانت تلك حقيقة تستحق التوقف عندها من على لسان «نور»، فلقد كان يلاحظ دائمًا استمتاع كل دارسي الفن في نقد كل ما حولهم فور تعلمهم بعض المبادئ، وتسخير كل مجهودهم في البحث عن كل ما هو سلبي في كل لوحة أو عمل فني، إلا أنه كان يظن أن قوة الفنان تقتصر على رؤية الإيجابي في كل ما هو سلبي، فأضاف ساخرًا:

- يعني تلاقي الواد ولا يسوا تلاته جنيه ومش عاجبه فان جوخ، وهنا زي ما قلتلك يا صاحبي أنا أتعلمت حاجه.

- اتعلمت إيه يا «نور»؟

تساءلت «أحلام» المستمتعة وسط ضيق «لؤي»:

- اتعلمت إن مش النجاح إنك تشوف الحاجه الوحشه في وسط اللوحه الحلوه، النجاح الحقيقي، إنك تقدر تشوف الجمال وسط لوحه متواضعه، لأنك بكده بتقدر تتعلم من كل حاجه حلوه صغيره، وتقدر بيها تكمل لوحه كبيره.

- wow...

علقت إحداهن في انبهار قبل أن يتساءل آخر:

- طب وإنت بجد ناوي تكمل في الرسم يا «نور»؟

- والله أنا لو عليا نفسي أبطل، بس لو بطلت جناني وعفاريتي هايطلعوا أكتر على الناس.



- ههه، بس الصراحه يا صاحبي، الرسم ده يكاد يكون ملهوش جمهور في «مصر».

- حقيقي، ما هو عشان كده أنا عايز أوصل لبرا.

قالها حالمًا، ليسخر «لؤي» من فوره:

- برا فين!

- أوروبا.

أكمل «لؤي» سخريته وحدته:

- تبقى عالمي يعني وكده، ربنا يدينا ويديك طولة العمر.

- يا «لؤي»!!

كررت «أحلام» توبيخها لـ«لؤي»، ليتدخل «نور» مقتبسًا من كلمات «أحلام» بالأمس:

- ربنا عدل يا «لؤي» ومابيزرعش حلم في قلوبنا، إلا وعارف إننا ممكن نحققه.

اندهشت «أحلام» من تذكره لكلماته بهذه الدقة، بينما كان «نور» قد كسب قلوب الجميع، ليقول أحدهم في إيمان وحمد:

- عندك حق الصراحه يا فنان، هو كان حد يحلم باللي كلنا فيه النهارده!

ابتسمت «أحلام»، لتتدخل في الحديث مضيفة لمسة أمل حالمة مذكرة الجميع بطريقها:

- أنا من عشر سنين وأنا في «أمريكا»، كنت برجع ماشيه



ساعه من الجامعه للبيت، عشان ماكنش بيبقى معايا فلوس، وفي الآخر برضه مكملتش دراستي، وكله كان بيقول عليا فاشله، ونزلت مصر هنا مع daddy، وكان كل حلمي أن أي جامعه تقبلني.

بسخرية ساذجة يعلق «نور» ضاحكًا:

- هي الفنانه مكملتش تعليمها؟.. ههه.

قالها وهو يضحك وحيدًا، فلاحظ وقاحته فاعتذر:

- آسف.. معلش بس الأفيه حبكت.

ابتسمت «أحلام» مشاركة إياه الضحك:

- ماتكتموش ضحكتكوا يا جماعه، ما أنا فعلًا مكملتش تعليمي، هههه.

- أهي قالتلكوا أهي.

مكملًا الضحك، ليتدخل «لؤي» في ضيق:

- طب ما تسيبك من الضحك بقى وتحكيلنا عنك شويه.

- يا عم هو في حد فتح بوقه غيري؟ ده أنا خايف يطردوني من الأوتيل من كتر الرغي.

ببراءة أجاب قبل أن يتدخل «لؤي» بشيطانيته:

- أصل الحياه مش كلها شغل يا «نور»، إحكيلنا عن ولادك.....

مش الباشا متجوز برضه!!!



اندهش الجميع ونظر أغلبهم إلى خاتم زوجية «نور» الذي كان يشبه الخواتم العادية، فأخفاه «نور» ممسكًا يمينه بيساره في حرج، ليسود الصمت في الجلسة قبل أن تتدخل «أحلام» وتقف:

- ااا... كفايه كلام بقى، ويالا يا «نور» بقى عشان تفهمني متخيل الرسمه ازاي هنا؟

قالتها وهي تتوقف متحركة ناحية البحر، ليتبعها «نور» هاربًا من الموقف، ليقتربا سويًّا إلى الشاطئ، تاركين الجميع جالسين، ليسأل أحدهم «لؤي» بشماتة:

- هو إيه النظام يا عم «لؤي»؟ إنت مش كنت مفهمنا إنك إنت اللي على الحجر؟

غضبت فتاة من بينهم متعجبة:

- مالكوا يا جماعه في إيه! ماتسيبوا كل واحد يعمل اللي هو عاوزه، وبعدين ما الراجل لطيف أوي الصراحه.

- آه الصراحه، هو عسل أوي، وشكله محترم.

أضافت أخرى ليقول «لؤي» مكررًا:

- محترم إيه.. بقولك متجوز!!

اندهش أحدهم غامزًا إلى «لؤي» في استهزاء، فلقد كان يعرف أنه متزوج هو الآخر! هذا بينما كان «نور» متقدمًا عند الشاطئ بجانب «أحلام» يحاول فهم ما يجمع بينها وبين «لؤي» ليتساءل في حرج:



- قبل ما نتكلم في الشغل ممكن أسألك سؤال؟

- أكيد يا «نور».

- أنا مقصدش أتدخل، بس يعني عشان الإحراج وكده!

- خش في الموضوع يا «نور».

- أنا قصدي يعني، هو إنتي و«لؤي»....

بدأ ثم تملكه التردد محاولًا التراجع قبل أن تبتسم هي مجيبة في حسم:

- أكيد لأ.. «لؤي» زي أخويا.

- أخوكي!!

تعجب «نور» متهكمًا لتوضح هي:

- I wont fool you

أنا بطبيعة شغلي مع «لؤي»، بنشوف بعض أكتر من أهلنا، والطبيعي في فتره حسيت إنه إتشدلي، بس أنا اتصرفت وعرفت أقفل الموضوع.

- واتقفل؟

تساءل «نور» بفضول، لتطمئنه هي بود:

- طبعًا، وبعدين «لؤي» متجوز..

بتلقائية قالتها، ليتسمر «نور» حرجًا، لتشعر «أحلام» بسوء قولها.

- ومبسوط كمان مع مراته..... وسعيد.



قالتها ثم أكدت، وهي تجز على أسنانها:

- سعيد أوي.

لم تساعده كلماتها لتخفيف ما يشعر به من ألم في صدره، ليقترب ليبلل قدمه الحافية بمياه البحر المالحة، ليخترق بنظر الأفق متذكرًا «ذكرى» التي رسمها في خياله متوسطة الأمواج الهادئة، ليظل «نور» يبحث داخل أعماقه عن سر خيانته المتكررة لزوجته رغم حبه لها، الكثير من الإجابات تخطر بعقله المريض دون اقتناع، فهي ليست الحاجة، وليست الشراهة، فالعيب لم يكن أبدًا في زوجته، بل كانت العلة فيه، فهذا الفنان الحالم، يصعب على امرأة عادية فهم تناقضاته؛ إذن سيحيا دائمًا متعددًا في علاقاته، وهذا ما يبيحه له شرع خالقه، فإذا كانت «ذكرى» نهاره فستمتلك «أحلام» ليله، بطريقة أو بأخرى، فهدأ وقال لـ»أحلام» في هدوء مشيرًا إلى منطقة رملية تتوسط المياه:

- هارسمك هنا يا «أحلام» بس مش دلوقتي، هارسمك فيها بالليل!

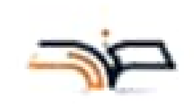
- إشمعني بالليل!!

تساءلت «أحلام» متعجبة، ليلتف إليها مجيبًا:

- عشان إنتي نجمه يا «أحلام»، نجمه محدش ينفع يوصلها.....

صدقيني، اللوحه هاتطلع حلوه أوي.

- أكيد هاتقدر تطلعها أحلى من الحقيقه.



- الحلم عمره ما بيكون أحلى من الواقع، مهما كان حلو يا «أحلام»، لأنه بيعيش لثواني، وبيختفي أول ما بنصحى من النوم.

***

من معرض «مصر الجديدة» كان «ماهر» قد وصل باحثًا عن «نور» المختفي عن الجميع منذ أمسه، ولقد انشغل عنه صديقه، وإن كان قلقه لا يخلو من شك، ومن المعرض ازداد انزعاج «نور» من حديث «أنس» المتوتر، خصوصًا بعد حديثه مع «عشق» التي غادرت قبل وصول «ماهر» بعدة دقائق؛ الأمر الذي زاد من توتره عند ظهور «ماهر»:

- إنت مالك مش على بعضك ليه يا «أنس»؟ هو مين كان هنا وترك أوي كده؟

- الضرايب...

قالها «أنس» كاذبًا، قبل أن يكمل مباغتًا:

- يا دكتور... «نور» بيروح مننا.

- يعني مجاش النهارده؟!

- ولا امبارح، جاله تليفون من يومين مشي بعدها ومارجعش، وسايب الدنيا عندنا تضرب تقلب، المعرض بيروح مننا، آخر حاجه باقيه لـ«نور» من ريحة أبوه بتروح مننا يا دكتور.

- طب إنت محتاج أي حاجه؟

نظر «أنس» أرضًا في حرج وانكسار.



- والله يا دكتور أنا مش عارف أقولك إيه! ده حتى فلوس اللوحتين اللي إنت سيبتهم خدهم «نور»، وسايب المحل من غير تعريفه، ومش بيرد علينا.

- طيب هات مكنة «الفيزا».

زاد حرج «أنس» ليكرر «ماهر» بحزم:

- روح يا «أنس» هات «الفيزا».

- هاتعمل إيه بس!

- هاعمل إيه يعني؟ هاسيبلك فلوس، ومعييش كاش، إنت مش بتقدر تخش على الحساب؟

أومأ «أنس» رأسه مؤكدًا، ليبتسم «ماهر» قائلًا:

- خلاص هات المكنه، وماتخفش كله من خير «نور».

***

أنهت «أحلام» تصوير أغلب أغنيتها التي تقاعست عمدًا عن إنهائها في ذلك اليوم، لتطلب الراحة، التي قضتها بالطبع مع «نور» في أحد المطاعم البسيطة المطلة على البحر، لتبدأ «أحلام» في الحديث:

- إحنا هنا في مصر مابناخدش بالنا من التفاصيل يا «نور».

- آه، عندك حق، أنا مابحبش التفاصيل، طول عمري بهتم بالرؤيه الواسعه من فوق.

- غلط، اللي مش بيهتم بالتفاصيل بيضيع في رؤيته، واللي بيغلط في الحاجات الصغيره، بيغلط بعدها في الكبيره يا



«نور».

ظل «نور» مستمتعًا بحديثها المليء بأفكار تعكس تحضرًا ورؤية، لتتابع هي سرد أفكارها في زخم:

- طيب هاسألك سؤال، فكرك ربنا بينجح اللي بيفتح مصنع خمور ولًا مصنع سبح؟

- بينجح اللي اشتغل صح.

أجابها «نور» إجابة تتطابق مع عقلها، فلقد كان كلاهما عقلًا منفتحًا على الآخر دون تعمد:

- Bravo، عشان زي ما قلتلك ربنا عدل، على المؤمن وحتى على الكافر.

تزايد إعجاب «نور» لحظة تلو الأخرى، ليشرد فيها قائلًا:

- «أحلام» إنتي بجد أعمق مما كنت متخيل.

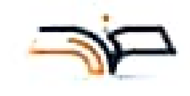
- إنت كنت فاكرني فاضيه من جوا!

سكت «نور» محرجًا لتكمل هي:

- كتير بيفتكروا كده، بس هفهمك حاجه، أنا مانجحتش بموهبتي يا «نور»، في ناس كتيره موهوبه عني ومانجحوش، وفي ناس أكتر مش موهوبين خالص، وناجحين أكتر مني، اللي بينجح يا «نور» هو اللي بيستمر، مابيلفش ويرجع مهما الطريق كان صعب.

- الإصرار.

ابتسمت، وهي تشير إليه بسبابتها:



That's it -

Persistence

ده اللي خلاني أنجح، مش بس موهبتي.

- الصراحه إنتي ذكائك مايقلش عن موهبتك.

قالها بإعجاب مثير، لتعلق هي في تقبل ودلال:

- دا أكتر غزل ممكن يعجب الست الفاهمه.

- أنا مقصدتش أتعدى حدودي.

بحرج شديد قالها «نور» بعدما زاد توتره وخوفه المعتاد، لتهدئه هي باحترافية وكأنها تعرفه، فهي تشعر بخوفه وضعفه، لا تريد الإثقال عليه، حتى لا يفر كعادته، فحقيقته أضعف كثيرًا مما يظن الجميع.

- بالعكس أسعدتني.

- أنا اللي سعيد ومش مصدق الوقت اللي إنتي مديهوني ده كله يا نجمه.

- «نجمه»!

كررتها في شرود، ثم أكملت وهي تنظر إلى السماء الصافية قبل الغروب:

- عارف يا «نور»؟ أنا دفعت تمن النجوميه دي فعلًا، نسيت نفسي وحياتي، ومابقتش عارفه أنا مشيت في طريق صح ولّا غلط.



- بس يا «أحلام»، إنتي أي حد يتمنى يبقى مكانك.

قالها جاهلًا الحقيقة، فكل منهما يبحث عما ينقصه، لا يرى ما يمتلك، وكأنه حق مطلق وليست نعمة من الخالق.

- وأنا نفسي أبقى مكان ناس كتير.

- الاختيار!

بنظرة إعجاب تجاوبت «أحلام»:

- صح... فن الاختيار.

توقفت «أحلام» وبدأت تتحرك في المكان باستعراض قائلة:

- أنا اخترت طريقي واستثمرت فيه كل وقتي وحياتي، وربنا عدل ونجحني، وإداني كل اللي تعبت عشانه، وفي غيري اللي اختارت بيتها، وربنا باركلها بزوج أو ولاد، محدش بياخد كل حاجه.

هربت من عينيها دمعة مكسورة فرت خشية من الله، فلقد غلب شيطان حرمانها حمدها على نعم خالقها، ليعلق «نور» مقتربًا منها متسائلًا هو الآخر:

- فِكرك فعلًا محدش بياخد كل حاجه.... ولَّا دي كلمه بنقولها عشان نصبّر نفسنا لما بنعرف أن ناقصنا حاجه؟

- ناقصنا حاجه؟!!

كررتها «أحلام» شاردة في كلماته، ثم أجابت وهي تلتفت إليه:

- طب أنا عارفه اللي ناقصني، إنت بقى يا «نور» عارف إيه اللي ناقصك؟



***

من مرسم «نور» كانت «عشق» لا تزال تحاول الاتصال بـ«نور» دون جدوى، فلقد ترك هاتفه في غرفته تيمنًا بـ«أحلام» حتى لا يسرق أي مخلوق من لحظاته الثمينة معها، ليزداد غضب «عشق» كالمعتاد قبل أن يظهر لها هذا الاتصال القادم من «ماهر»، فأجابت في توتر وعِناد لتوبخه؛ لتهرب من انفعالها:

- أيوه يا سي «ماهر» في إيه؟!!!

- ولا حاجه وحشتيني قلت أطمن عليكي.

بود مصطنع أجاب «ماهر»:

- يا سيدي أنا كويسه، بس مش قادره أتكلم.

قالتها بينما سمعت طرق الباب، فاعتذرت منه واتجهت إليه وفتحته؛ لتجده «ماهر» متوقفًا أمامها على الباب...

***



(١٠)

بدأ النادل في وضع الطعام أمام «نور» و«أحلام» الهائمين في سماء دهب وبحرها، فلقد كان المنظر بالفعل خلابًا، خاصة من مكانهما المرتفع في هذا المطعم البسيط المتماشي مع الطبيعة، حيث كان الفرش من خشب الأشجار الخام والهارب من أي تدخل صناعي، حال كل المفروشات التي كانت مصنعة يدويًا من خامات بسيطة مليئة بألوان الحياة، انتهى النادل من صف الأطباق وغادر، ليكمل «نور» المسحور كلامه:

- أنا مشكلتي يا «أحلام» إني مكنتش عارف أنا عايز إيه الأول، عشان كنت أقدر أعرف اللي ناقصني.

- إزاي؟

- إنتي يمكن قدرتي تعرفي إنتي عايزه إيه لما رجعتي «مصر».

- أيوه حقيقي مظبوط، من أكتر من عشر سنين.

ابتسم «نور» ثم أكمل ساخرًا:

- أنا بقى من عشر سنين، كنت أتفه إنسان ممكن تقابليه، ورغم كده في الوقت اللي إنتي كنتي فيه ولا حاجه، أنا كنت فيه كل حاجه.

في تلك اللحظة بدأت «أحلام» التعامل بتلقائية وهي تحضر الطعام بحب أنثوي، دون تكبر أو تعالٍ، تقرب صحن «نور» منه، ثم بدأت في غرف الطعام له ليكمل هو في استمتاع:

- ساعتها كان أبويا الله يرحمه عايش، وكان عندنا محلات



كتير، كنا أغنيا جدًا، وعشان مكنش ناقصني حاجه نسيت أحلم.

- بس الإنسان يموت من غير حلم!

- آه ما أنا عرفت.

قالها ساخرًا، ثم تابع متألمًا:

- وخصوصًا لما أبويا مات، حسيت فجأة باليتم...... بتوهان، فدورت على بيت بسرعه وكأني عايز الحق أعمل عيله جديده.

نظر أرضًا وأكمل هاربًا من نظراتها:

- اتجوزت من «ذكرى» بنت خالي، ونسيت إننا كنا لسه عيال، مانعرفش يعني إيه حب وجواز....

خلفنا بسرعه، ومسكت تجارة أبويا، وبدأت الدنيا تديني قلم ورا قلم.

قالها مجسدًا بيده، ثم تابع وهو ينظر إلى البحر:

- بدأت أتوه، في الأول كنت فاكر إن المهم الفلوس، فعملت منها كتير، كتير أوي يا «أحلام»، لغاية ما فجأه افتكرت إن الموت مفيش منه هروب، وإن الدنيا دي مستعجله على فراقنا أوي، فافتكرت أنا نفسي أعمل قبل ما أموت، عشان أعمله.

- وعرفت نفسك في إيه؟

- أرسم...

بشغف ساحر قالها، ثم تابع بسحر يميزه، وهو يتحدث عن



حلمه:

- نفسي أرسم يا «أحلام» والدنيا كلها تشوف رسمي.

دمع «نور» رغمًا عنه، فهرب إلى صحنه هاربًا، قبل أن تسرع «أحلام»، وتمسك به ووضعه إياه على حجرها.

- كمل يا «نور» أنا عايزه أسمعك.

قالتها وهي تقطع له قطع الدجاج لتطعم «نور» المندهش في فمه؛ ليقضم الطعام في هدوء وسكينة، قبل أن يعلق ساخرًا:

- هو إنتي بتأكليني في بوقي ولا أنا بيتهيألي!

نظرت «أحلام» إلى نفسها منتبهة إلى ما تفعله من تلقائية، لتقول بإحراج:

- لأ، بيتهيألك طبعًا.

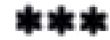
ضاحكة علقت لتحاول إعادة الطبق له، ليرفض يدها بمشاكسة قائلًا:

- هاتيلي بس حتة فراخ بالرز، والنبي والنبي.

بطفولية علق، لتسترجع «أحلام» الطبق مبتسمة، لتقول بتلقائية:

- خدها بالخضار أفيد.

يأكل «نور» من يدها مستمتعًا وهو يبادلها تلك النظرات غير المفهومة، لتداعب ضحكاتهما غروب الشمس.





رجعت «عشق» خطوتين إلى الوراء قبل أن يدخل «ماهر» في ثورة ممسكًا يدها اليمنى بيسراه، قبل أن يبدأ بصفعها مرة في الثانية في الثالثة.

- «نور» لأ «عشق».

صاحب عمري لأ يا «عشق».

إنتي إيه.. فاجره...

فاجره....

وقعت «عشق» أرضًا في انهيار، ليدخل هو موصدًا من بعده الباب:

- يعني أنا كنت المقطف، اللي بحكيلك عنه كل حاجه، عشان تخونيني معاه!

- أنا مخنتكش..... إحنا متطلقين.

قالتها مدافعة، ليعلق متهكمًا:

- لا يا شيخه، أطلقك من شهرين، تيجي تقعديهم هنا عند الصايع ده في الجرسونيره بتاعته! إنتي مومس....

توقفت «عشق» من فورها غاضبة؛ لتسلط الأضواء على ما عرفه «ماهر» وتجاهله:

- دلوقتي بس بقيت مومس؟ أمال لما كنت بتجيلي يوم في الشهر من ورا مراتك، كان إسمي مراتك؟!

- كفايه قرف بقى... عمومًا أنا حسابي مش معاكي، حسابي مع «نور» اللي المفروض كان صاحبي.



تألمت «عشق» من شك «ماهر» في صديقه، لتحاول التفسير:

- لأ يا «ماهر»، «نور» مايعرفش حاجه خالص، مايعرفش أنا أبقى طليقة مين!

- بس هايعرف...

قالها مبتسمًا ابتسامة شيطانية، ثم التف وفتح الباب ليخرج قبل أن تصرخ هي من خلفه بلهجة جريئة لا تخلو من التهديد:

- «نور» لو عرف هاتفضح نفسك إنت كمان، وماتنساش إن عندك اللي تخاف عليه.

تسمر «ماهر» في مكانه قبل أن تضيف هي بتحدٍّ وغل:

- إنت بالذات لو مراتك عرفت، هاتهد كل اللي إنت بنيته في سنين طويله.

تراخى «ماهر» مدركًا شر «عشق» التي تابعت:

- إقصر الشر يا «ماهر» وانسى إنك في يوم شوفتني، أنا مابقاش عندي غير «نور» ومش هاخسره....

***

أنهى «نور» و»أحلام» غداءهما وغادرا سويًا عائدين إلى الفندق، من ممشى «دهب» يستمتعان بهذا الطريق الذي يضم محلات محلية تتوسط المطاعم والكافتريات المختلفة، ليكمل «نور» حديثه متسائلًا:

- حقيقي يا «أحلام» أنا من ساعة ما قابلتك، وأنا بحاول



أحطك في..

قاطعته «أحلام» مجيبة:

- إطار؟!!

- يمكن... يعني مش عارف أشوفك نجمه، ولَّا بسيطه!

راضيه بحالك، ولَّا ثايره عليه؟

بصدق تساءل «نور»، لتعلق هي:

- أهو ده كمان سؤال غلط يا «نور»، تسمحلي أصلحلك؟

بسخرية وافقها «نور»:

- عادي، يعني ما إنتي مبستفاني من الصبح، جت على دي؟.. هههه.

- والله أنا مش قصدي، بس أصلي أنا يا «نور» بكره الإطارات اللي بنحط فيها نفسنا، وبننسى فيها إننا بني آدمين، عايزين نقول ده متدين، وده بيشرب، ده بتاع ستات، ده فقير، ده غني، وكأن دي بطاقة تعريفنا الشخصيه، وبننسى إن اللي بيشرب بالليل ممكن يصلي الفجر، واللي بيصلي العشا ممكن يسرق بعدها.

اعترض «نور» موضحًا:

- بس ده نفاق!!

- لأ يا «نور، دي إنسانيه، اللي بعيد من ربنا حقه يتوب، واللي قريب منه مش معصوم من الغلط، كل واحد فينا جواه شخصيات كتير، بس بنسب مختلفه، الملتزم، والعاصي،



الجبان، والجريء، واختلافات تركيبتنا دي هي اللي بتفرقنا عن بعض.

قالتها جاهلة أن «نور» بالفعل يملك بداخله الكثير من تلك الشخصيات المتناقضة، فهو هذا المتحمس في الصباح والمكتئب في الليل، القوي في فنه والهارب من المسؤولية، كل شخصية من شخصياته تطفو فترة على السطح متحكمة بمشاعره وقراراته، وإن كانت «أحلام» تتقبل أغلب تلك الشخصيات، إلا أنها كانت تجهل سوء تلك الشخصية المنيرة الجذابة، التي تشبه المياه في انسيابيتها تستطيع الإمساك بها بنفس السهولة التي تتسرب بها من الأيدي، فلقد كانت تلك الشخصية المتحفظة الجبانة من بين شخصيات «نور» التي تهرب فرارًا فور الإمساك بها.

التفتت «أحلام» ونظرت في عيون «نور» لتقول:

- هي الـDNA بتاع كل واحد فينا.

- طب تسمحيلي أفهم تركيبتك؟

قالها متوقفًا، لتمد إليه يدها قائلة ببساطة:

- أنا «أحلام».

مد إليها يده ليتعرف بها للتو بهدوء وطمأنينة، ليكملا سيرهما ناحية الفندق حيث كان هناك «لؤي» يتوسط طاقم العمل في غضب، حيث كانوا ينتظرون «أحلام» و»نور» بعدما أعدوا الإضاءات التي طلبها «نور» لرسم لوحته عند الشاطئ ليلًا:



- هي فين «أحلام» كل ده؟!!

- ما لسه بدري يا «لؤي»!

تعجب أحد العاملين من توتر «لؤي» الذي صرخ بعصبية بالغة:

- بدري إيه، إنت إشفهمك إنت كمان!!!!!

فتح «لؤي» عبوة باردة من الجعة وهو يحاول الاتصال هاتفيًا بـ«نور» الذي كان في عالمه الحالم من الممشى، يستمع إلى «أحلام» التي تابعت حديثها في دلال:

- أنا عملت كل حاجه وأنا صغيره.

ظهر الفضول على «نور»، لتعقب هي موضحة:

- بس حافظت على نفسي.

ابتسم «نور» بارتياح، لتتابع هي:

- أمي دايمًا كانت مفهمانا إننا عرب، ثقافتنا مختلفه، عشان كده اتعودت أفهم ثقافة الحريه، أفهم إن كل واحد حر، بحترم حرية اللي حواليا،

طالما بيحترموا حريتي، واتعلمت إني محكمش على حد أبدًا.

استوقفها «نور» معلقًا بإيجابية:

- دي أحلى حاجه فيكي، عمري ما حسيت في نظرتك ليا، تقليل أو نقص.



- وأقلل منك ليه بس يا «نور»!!

- شكرًا...

شكرها «نور» الذي كان يشعر بنقصه من خلال ظروفه الاجتماعية، فلقد كان يعرف أنه متزوج وأب لا يمتلك في نفسه الكثير:

- طيب كملي عايز أسمعك.

- دي بقى أحلى حاجه فيك.

بدلال علقت ثم وضحت:

- إنك بتحب تسمعني.

***

من عند شاطئ الفندق، كان «لؤي» قد أثقل في الشراب وذهب عقله؛ الأمر الذي أغضب زملاءه، ليقترب منه أحدهم معلقًا:

- إنت زودت في الشرب أوي يا «لؤي».

- هو إنت شايفني تلميذ!

بانفعال أجاب، ليهدئ الرجل من روعه قائلًا:

- لا أبدًا، بس ماتكبرش الموضوع كده.

مشيرًا إلى تأخر «أحلام» علق الرجل ليجيب «لؤي» في غضب:

- موضوع إيه اللي أكبره! إنت ماشوفتهاش الصبح معايا



وهي خارجه من أوضته؟!

- عادي ما هي كانت مصحيانا قبلها يا «لؤي»، بلاش الكلام ده يا أخي.

- وهو إنت عايزني أستنى لما ألاقيها خارجه من أوضته بالليل!!

- طب ما تدخل ولَّا تخرج، هي قاصر؟!!!

متعجبًا علق الرجل.

- ده على أساس إن مفيش رجاله هنا صح!!!! لا يا حبيبي لو إنت راجل في البطاقه بس، فأنا لسه موجود، واتفضل غور يالا على شغلك......

توقف الرجل مندهشًا من جنون «لؤي» وسط ذهول البقية، ليكمل الأخير صراخه الجنوني:

- بتبصوا على إيه؟ كل واحد يشوف شغله!!!

***

- بحب السهر بس بحب شمس الصبح.

قالتها «أحلام» موضحة شخصيتها لـ«نور» المستمع باستمتاع، لتكمل هي:

- بحب الناس، بس بحب أكون لوحدي،

بحب الخروج، بس برضه بحب قعدة البيت،

بحب الغُنا، بس بحب العيال أكتر،



بحب ربنا أوي، بس بخاف منه أوي أوي أوي.

- طيب ما إنتي عيانه زيينا أهو!

علق «نور» بسخريته الهادئة لتخبط كتفه بيدها في دلال قبل أن يكمل:

- عندي دكتور هايل إسمه «ضياء الجارحي» إنما إيه فظيع، شوفي رغم إن أنا دارس علم نفس، لكن لازم أروحله مره في الأسبوع على الأقل، بحس إني بتغسل كده من جوا.

- هه، خلاص أنا حفظت اسمه وأكيد هاروحله في يوم!

كانت بالفعل تمتلك ذاكرة قوية، تستطيع حفظ أي صورة أو جملة في سهولة:

- لأ حقيقي يا «أحلام» أول مره أحس إني شايفك زي ما انتي.

- طب دي حاجه حلوه؟

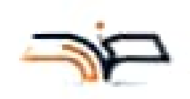
- لأ.

بوضوح نفى «نور» في اللحظة التي ظهر فيها شاطئ الفندق وصار بقية الطاقم على بعد بضع خطوات لهما، حيث تساءلت «أحلام» في إحراج عن سر نفيه:

- ليه لأ؟! انبهارك بيا راح؟!

- للأسف آه....

بقوة قالها ثم التف إليها مكملًا:



- انبهاري بالنجمه راح، عشان بدأت أشوف البني آدمه اللي جواها....

بس المشكله إني انبهرت بالبني آدمه دي أكتر.

بحب صادق قالها منتظرًا رفضها، لتفاجئه هي كعادتها:

- وليه بقى دي تبقى مشكله؟!

- عشان انبهاري بالنجمه كان ليه سبب أقدر أعيش بيه.

بقوة قالها بعدما أعطته المجال، لتقف «أحلام» وتنظر داخله وهي تقترب منه ليتراجع عنها خطوة في حرج، فلم يكن بمثل جرأتها قبل أن ينتبه لهذا الصراخ القادم من خلفها:

- إيه يا عم التشكيلي ما ترد على تليفونات أمي!!!!

قالها «لؤي» لينتبه الجميع إلى سكره فيمسك به البعض، بينما تساءلت «أحلام» مندهشة:

- «لؤي» في إيه!!!

- في إني بقالي تلات ساعات مش عارف أطمن عليكي.

- طب ما إنت عارف إني مابمشيش بتليفون.

- ما عشان كده كلمت البيه مية مره، بس مكنش راضي يعبرني.

بحرج أجاب «نور»:

- ما هو أنا كمان معبيش تليفون.

- «نور» سايب تليفونه في الأوضه.



أوضحت «أحلام» ليندهش «لؤي» متسائلًا:

- وإنتي عرفتي إزاي يا «أحلام»!!

ولَّا كنتي معاه في الأوضه إن شاء الله!!

ذهلت «أحلام» وأحرجت للحظة، حال «نور» الذي حاول الدفاع بتوتر، قبل أن تسترجع «أحلام» قوتها، وتعلق ببرود شديد:

- أيوه يا «لؤي» أنا كنت عند «نور» في الأوضه.

اندهش الجميع من برودة «أحلام» وقوة ردها، حال «نور» الذي حاول النفي بسبابته، قبل أن تكمل هي في تحدٍّ مبالغ:

- وأنا اللي مكنتش بخلي «نور» يرد، عشان ببساطه أنا مابحبش حد يقاطعني وأنا بعمل حاجه يا «لؤي».

سقطت عبوة الجعة من يد «لؤي» العاجز عن الرد لتكمل هي:

- ولو في أي حد مش مرتاح في وجودي، يقدر يمشي وحالًا، لأن ببساطه ماينفعش أنا اللي أمشي.

وصلت رسالتها الواضحة إلى السكير الذي استفاق للتو:

- طبعًا ما ينفعش إنتي اللي تمشي، إنتي النجمه.....

أنا اللي هامشي يا «أحلام»، واضح إن مابقاش ليا مكان وسطكوا!

بانكسار قالها «لؤي»، وهو يخرج من جيبه مفاتيح السيارة ليلقيها إلى «نور».



- ماتنساش تسوق للهانم وانتوا مروحين.

غضب «نور» وتوجه إلى «لؤي» في تحدٍّ قبل أن تستوقفه «أحلام» بيده، متيحة المجال لـ«لؤي» ليغادر المشهد في سلام، ثم بدأ الجميع في الاقتراب من النجمة حال «نور» لتوقفهم في حزم قائلة:

- لو سمحتوا سيبوني لوحدي.

حاول أحدهم التعليق، ليمسك «نور» به مستجيبًا لرغبتها وينسحب الجميع، لتظل هي وحيدة أمام هذا البحر وسط إضاءة التصوير، التي انطفأت للتو لحزنها.

***



(١١)

كل منهم في عالمه يبحث عما ينقصه، هذه هي الحياة، فكانت «دلال» قلقة في غرفتها تحاول البحث عن «أحلام»، ولكنها تعلم عدم تعلقها بالهواتف، لتقرر الاتصال بـ«لؤي»، الذي استقبل مكالمتها وهو شارد خارج نافذة إحدى الحافلات العائدة للقاهرة، ليظل شاردًا دون أن يجيبها، لتغلق هي الخط وتحاول تكرار الاتصال قبل أن تسمع صوت غلق باب الشقة، لتترك هاتفها وتعود إلى السرير؛ حيث يدخل «ماهر» في حالة يرثى لها دون أن يحييها، مهمومًا ليخلع ملابسه أمام المرآة، فلقد كان قلبه مجروحًا، تمنى للحظة أن يبكي لـ«دلال» شاكيًا إليها صدمته، قبل أن يتفهم أن ما في قلبه من ألم متعلق بخيانته لها، فتوقف أمامها في عجز صامتًا، ليعرف في تلك الوهلة إثم فعلته فلقد شيد حاجزًا مرتفعًا بينه وبين زوجته، ولم يكن يتوقع يومًا حاجته لهدمه، ليجلس «ماهر» في يأس لا يزال يتذكر تهديد «عشق» التي كانت هي الأخرى في حال يرثى لها، فلقد تركت مرسم «نور» عائدة إلى شقتها أخيرًا، فرغم ما قامت به من أفعال، إلا أنها كانت ضحية هي الأخرى، فلم تختر تلك الحياة غير المستقرة، بل كانت تتمنى حياة بسيطة وهادئة، وكان خطأها في رفضها لواقعها الذي حاولت تغييره، جاهلة أن القدر سيتحداها، بل وسيسخر الظروف لتعليمها ما تجاهلته.

من غرفتها حاولت «عشق» الاتصال بـ«نور» مرارًا دون جدوى، فلقد ظل يرفض جميع اتصالاتها، لترسل إليه رسالة نصية:



«معلش يا «نور» أنا اضطريت أرجع البيت»

لم يجب «نور» كعادته، لتكمل هي كاتبة الآتي:

«طيب مش هانيمك زي كل يوم؟»

بسرعة استقبلت «عشق» رسالة من «نور»، فابتسمت قبل أن تتغير ملامحها عند قراءتها:

«لأ. . .هنام لوحدي»

أرسل «نور» الرسالة ثم ألقى بالهاتف على سريره، يتذكر ما حدث ليعلو حيث لا يزال صوت «أحلام» في ذاكرته يتكرر بصدى صوت خفيف في أذهانه:

«أيوه يا «لؤي» كنت عند «نور» في الأوضه».

ابتسم «نور» سعيدًا لما فعلت «أحلام»، فلقد آثرته على نفسها، دافعت عن كرامته وإن جرحت كرامتها وهي تفعل، وكان هذا بالفعل مفهومًا جديدًا في الإيثار. لم يحتك به «نور» بعد، ومن فعلت ذلك هي نجمته التي لا يراها إلا مرتفعة في السماء. نظر «نور» عبر النافذة حيث «أحلام» هناك وحيدة عند الشاطئ تتساءل: لم فعلت ذلك!

«حصلك إيه يا «أحلام»! الوحده جننتك خلاص، بتبيعي القريب عشان الغريب، وبتراهني رهان خسران!»

ظلت «أحلام» تحدث نفسها، ثم تحركت حتى وصلت إلى ركن شرقي من أمام البحر مباشرة، عبارة عن سجادة عريشية، مع بعض المخدات الملونة للجلوس، فاستقرت هناك واضعة رأسها على رجلها، تاركة العالم من خلفها، قبل أن تسمع



صوت خطواته، لترفع رأسها وتجد «نور» أمامها، فاندهشت مبتسمة:

- «نور»... إنت لسه صاحي!

كان «نور» ممسكًا بشيء ما، وضعه بجانبها وجلس قائلًا:

- أكيد مش هايجيلي نوم.

- أنا آسفه، أنا عارفه إني ورطتك في موضوع بايخ جدًا.

- بالعكس، أنا فاهم إنك كنت بتكبريني، بس أنا مكنتش حابب إنك تصغري نفسك عشاني.

بصدق قالها ثم توقف في توتر، ليضيف بطفولية:

- والصراحه كمان أنا زعلت على «لؤي»، أنا عارف إنكوا بقالكوا سنين سوا.

أُحرجت «أحلام» وهربت بنظرها؛ لتجد «نور» ممسكًا بشيء ما لتسأله:

- إيه ده؟

- دي اللوحه اللي وعدتك بيها من المعرض.

- بجد؟ وريهاني.

- طب اضحكي الأول.

***

من غرفتها كانت «ذكرى» تجلس على مكتبها حزينة مغلقة أنوار أباجورتها، تاركة قلمها في أجندتها الحمراء، ثم



تحركت إلى سريرها، لتستلقي عليه ممسكة بهاتفها تنظر إلى الاتصالات الواردة من «نور» التي كان آخرها بالأمس دون أي مكالمات جديدة، فتخرج رقمه للاتصال به، قبل أن تتردد وتترك الهاتف، لتغلق باقي الإضاءة، بينما تظل تنظر إلى السقف وكأنها تحاول استكمال الأحداث، قبل أن تغفو في أحلامها!

***

كانت تلك اللوحة مرسومة بطريقة تجريدية لرجل ما، وجهه مشوه من ناحية اليسار، ولكن التشوه كان انعكاسًا داخليًّا لحالة حزنه التي علق عليها «نور» موضحًا اسم اللوحة:

- «الخاين». . . . . ده اسم اللوحه.

جثت «أحلام» على ركبتها، لتلمس ضربات الفرشة على اللوحة متسائلة:

- ليه خاين؟! دي اللوحه حلوه أوي.

جثا «نور» من جانبها متأملًا ليشرح انعكاس نفسه داخل اللوحة.

- حلوه من برا، بس ميته من جوا.

- أيوه بس ليه طلعتوا «خاين»؟

- معرفش. .

قالها مبتسمًا، ثم تابع بسخريته المعهودة:

- ده طالع شيطاني كده. . . هه.



- بس اللي بيخون لمجرد الخيانه يا «نور، مابيحسش بالألم اللي إنت رسمه ده، ده كده مش خاين، ده موجوع يا «نور».

قالتها وهي تربت على» كتفه متسائلة:

- ماتحكيلي يا «نور»، أنا حكيتلك كتير النهارده.

- أحكيلك إيه بس؟

- إحكيلي الوجع اللي جواك ده جاي منين؟

واضعة يدها على صدره قالتها، ليشعر «نور» بحنانها ويستلقي أرضًا على ظهره، متنهدًا وهو يراقب نجوم السماء قائلًا:

- زي ما قلتلك، كلنا ضحية اختيارتنا وقراراتنا يا «أحلام».

استلقت «أحلام» على جانبها مريحة رأسها على يدها، لتعتليه متسائلة:

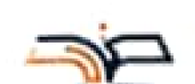
- طب إيه الاختيار الغلط اللي تعبك كده؟

- لأ.... للأسف مكنش غلط، أنا اللي غلط.

- بالراحه على نفسك واحكيلي.

- أنا وعدت وعد ومقدرتش أوفي بوعدي.

قالها شاردًا في وعوده التي نكثها، متسائلًا ما منعه في كل منهم، فلم يعنِ «نور» أبدًا خذلان من حوله، بل كان محبًّا لهم ليعدهم بما لا يستطيع الوفاء به، ليتهاوى هو في أنظار نفسه، حتى فقد ثقته في نفسه.



- عشانماينفعش نوعد وإحنا مبسوطين يا «نور»، بتبقى السكينه سرقانا.

- بس أنا كنت صغير ومفهمش، ووعدت إني ماتغيرش.

- بس التغيير سنة الحياه.

- مكنتش أعرف...

سكت لحظة ثم نظر إليها صدقًا:

- مكنتش أعرف يا «أحلام»، كنت فاكر إن الدنيا هاتفضل زي ما هي، ونسيت أحلم، ولمّا حلمت لاقيت مراتي بتسبقني...

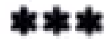
توقف «نور» مرة أخرى متألمًا، لتعلق «أحلام»:

- كمل يا «نور» مش عايزه أقاطعك، عايزه أسمعك، صدقني..

في إحراج وخذلان قال:

- كان نجاحها بيجرحني، خصوصًا إنها كانت في نظري بنتي اللي مربيها، فجأة لاقيتني بسابقها، عايز أعمل فلوس زيها، عايز أثبتلها إني جدير ببنتنا، وفي لحظه نسيتها في الطريق، مع إني فاهم كويس إن السر في الرحله، توهت بعيد عنها، ملقتش شريكه لحياتي، ولاقتني لوحدي، وللأسف أنا السبب، أنا اللي بعدت عنها، أنا اللي نسيتها، أنا اللي اتغيرت....

بعد ما وعدتها إني ماتغيرش.



من غرفتها تستيقظ «ذكرى» فجأة كالممسوسة، وكأنها قد رأت رؤيا ما! لتعدل جسمها ناهضة بصعوبة، لتحدث نفسها قائلة:

«أنا لازم أخلص، على الأقل أسيب لـ«نور» حاجه»

وقفت «ذكرى» وتوجهت إلى مكتبها، لتكمل ما كانت تكتبه معيدة ضوء الأباجورة فاتحة الأجندة؛ لتكتب الحقائق التي كان يجهلها «نور».

«حقيقي أنا كنت بغير من «نور، لأن «نور» كان قادر يحلم، رغم تجارته وشغله، قدر يعمل اللي أنا بحاول أعمله دلوقتي بعد فوات الأوان، قدر ينجح وأنا كنت غيرانه من حلمه، حقيقي أنا غيرت من نجاحه».

من عند الشاطئ سمع «نور» كلمات «ذكرى» لتوه، فتوقف متوترًا لتندهش «أحلام» متسائلة في قلق:

- مالك يا «نور»؟!

- إنتي سمعتي صوتها!!

- صوت مين!!

جلس «نور» في ضيق يحاول ترك خيالاته متذكرًا ما كان يقوله للتو:

- أنا كنت بقولك إيه!

آه، كنت بقولك إني غيرت من نجاح مراتي واتكسرت.

- بس اللي انكسر ممكن يتصلح يا «نور».



- غريبه!!

قالها «نور» مندهشًا، ولكنه كان معتادًا على استقبال هجوم الجميع، واصفين إياه بانعدام الرجولة أو الإيمان، وكأنهم ملائكة وهو وحده الشيطان بينهم!

- هي إيه إللي غريبه يا «نور»؟

- محكمتيش عليا يعني! ماشوفتنيش وحش زي الباقي!

فردت «أحلام» نفسها بجانب «نور» تنظر إلى السماء.

- أولًا عشان إنت مش وحش، والأهم عشان أنا مليش إني أحكم عليك، أو على أي حد.

- دي أحلى حاجه فيكي.

- ههه، لأ كده مابقتش حاجه واحده.

قالتها «أحلام» مبتسمة، ليكمل «نور» ساخرًا:

- أكيد طبعًا مش حاجه واحده، إنتي تعرفي تعدي لحد كام؟.. ههه.

ضحكا للحظات قبل أن يشرد «نور» في سمائه مضيفًا:

- عارفه يا «أحلام»؟ كتير أوي مابعرفش أفرق بين الحلم والعلم.

بصدق قالها وهو يغلق عينيه، ليغفو في أحلامه حالها، تاركين واقعهما إلى من يهتم، ليقترب إليهما عامل الفندق هذا بملابسه الشتوية مبتسمًا وهو يحمل هذا الغطاء بيديه ليضعه عليهما، قبل أن تتجه «أحلام» إلى ذراع «نور» لتحتضنها



بتلقائية.

***

من مكتبها كانت «ذكرى» تحاول محاربة تعبها لتظل مستيقظة ولكنها فشلت، ليسقط رأسها بشكل مفاجئ على الأجندة، قبل أن يسقط قلمها أرضًا، لتمكث نائمة ساعات قليلة حتى بدأت شمس الشروق تدخل من نافذة الغرفة لتغازلها.

***

من نومهما، تلامس وجهيهما أشعة شمس الشروق، ليفتح «نور» عينيه قبل أن ينظر إلى يمينه ليجدها في أحضانه، ليتوقف عن الحركة، بل كادت أنفاسه تتوقف! لم يرغب أن يحرك ساكنًا، بل تمنى أن يُبعث في أحضانها، بعدما صارت رب قلبه، دقائق مرت في لحظة حتى استيقظت هي الأخرى، لتندهش قبل أن تضحك في خجل، حال «نور» الذي ضحك في سعادة لم تظهر على وجهه في البداية، بينما انتبه هذا العامل الذي كان يراقبهما منذ أمس مبتسمًا، ليحضر لهما الشاي من فوره، ثم وضعه على صينية وتحرك إليهما في حب كانت «دهب» تتبناه، ليشكراه بابتسامة جاهلين حراسته لهما، ليجلسا مكملين ضحكهما، ناظرين إلى البحر، ليبدأ هو معطيًا إياه الشاي:

- أنا من زمان ماستريحتش كده.

براحة قالتها وهو ينظر لها، لتخطر له تلك الفكرة في ذهنه فجأة:



- يالا يالا..

- إيه بس؟

مندهشة تساءلت، ليجيب «نور» وهو يقف دافعًا إياها لتقف معه:

- هارسمك.

- مش قلت بالليل؟!

- لأ هارسمك في الشروق.

- إشمعنى.. مش إنت كنت شايف فيا نجمه؟

- لأ هارسمك في الشروق.

قالها وتوقف للحظة قائلًا بإيمان:

- عشان شايف فيكي الأمل.

بحب أضافها لتسلم هي له أنفاسها ليبدأ الفنان في رسم نجمته في الشروق.

***

كانت «فرح» تبحث عن أمها في كل مكان، تنادي إياها دون أي رد، ففتحت غرفة الأم، لتدخلها في ترقب، حتى وجدت أمها هناك مغمى عليها من على مكتبها لتبدأ هي من فورها بالصراخ، لحظات من الرعب والألم مرت بها وهي تنادي أمها دون أن تسمعها.

وصل الأب «فضل» بعد دقائق ليبحث عن نبضها الذي وجده



بصعوبة، حاول مساعدتها بكل ما أوتي من علم، حتى علم بعجزه، فحمل ابنته بسرعة هَرِعًا إلى الخارج، بسيارته أقلها إلى المستشفى مذعورًا، يكاد يفقد أنفاسه، حتى تقدم إليه ممرضوه ليضعوها على هذا الترولي، لتبدأ رحلة الفحص في وجود الدكتور «رؤوف» الذي اضطر إلى الإفصاح عن حالة «ذكرى» التي كانت تتضاعف، ليتقدم العد التنازلي أيامًا كثيرة تفصل «ذكرى» عن عالم جديد!!

***

من عند الشاطئ كاد «نور» ينهي لوحته من أمام أعين الجميع، منهم المنبهر ومن بينهم الحاسدون، الكل اتفق على براعته، حتى وضع لمسته الأخيرة، ليسمع هذا الصوت المحبب إلى قلبه مع تصاعد صفيق الجميع الذين أحاطوه من خلف اللوحة يراقبونه وهم ينظرون إلى نجمتهم من بعيد، حيث كانت لا تزال جالسة هناك كما طلب منها، حتى دفعها الفضول لتترك مكانها لرؤية ما رسمه «نور»، وصلت «أحلام» عند اللوحة لتقف لحظات مذهولة من إبداع «نور، فلقد أدرك فيها الكثير والكثير من موهبته، حاولت «أحلام» ملامسة اللوحة ليمنعها «نور» بيده حتى لا تلطخها، فلم تكن قد جفت بعد، كان للمستها دفء إلى قلبه، كما شعرت هي، لتضم يده بقوه، قبل أن تتخلى عن بريقها، وتسرع لتحتضنه في سعادة وسط الجميع، فلقد كانت تلك «دهب» وكانت «هي «أحلام».

***



(١٢)

أنهى جميع طاقم العمل حزم أمتعتهم، فلقد انتهت مهمتهم حال انتهاء «نور» للوحة، ولم يعد هناك حاجة لمكوثهم، فلقد انتهت للتو رحلتهم، وكان هذا ما يضيق بصدر «نور» الجالس وحيدًا على الشاطئ كالأطفال يرفض انتهاء الرحلة، هذا الشعور الذي ظل يطارده في لحظات سعادته حال الجميع، لاحظت «أحلام» سكون «نور» فاقتربت إليه ليشم عبيرها قائلًا:

- خلاص كده؟

- خلاص إيه؟

- هانمشي؟

- ما إحنا خلصنا خلاص، وزي ما إنت شايف، الطقم كله جهز عشان يمشوا.

زاد استياء «نور»، لتبتسم «أحلام» قائلة:

- بس أنا مش لازم أرجع معاهم يعني.

- يعني نعد إحنا وكده يعني؟

بسذاجة تساءل «نور» لتقترب منه «أحلام» موافقة:

- أصلنا خلصنا لوحتي، لكن لسه بقى مخلصناش معرضك.

- حلو الجمع ده...

أعجب «نور» بجمعهما في حديثها، فلقد مل الوحدة:



- بس معرض إيه اللي مخلصناهوش؟

تحركت «أحلام» معه واضعة يدها داخل ذراعه، ليسيرا سويًا على الشاطئ.

- المعرض بتاعك يا فنان، ممكن النهارده سيادتك تعتبرني مديرة مكتبك.

تعجب «نور» ببلاهة:

- إنتي؟!

- إيه مانفعش؟

- طبعًا ماتنفعيش.

بغضب مدلل تساءلت «أحلام»:

ليه يعني إن شاء الله؟

- أصل لما إنتي تبقي مديرة مكتبي، المكتب هايبقى شكله إيه؟

- ههه، لا ولا يهمك أنا مسامحه، بس هاتديني كام؟

- هما تمانين جنيه عمي.

- وأنا موافقه.

- رخيصه أوي....

بسخرية علق:

- أفندم...



- لا ولا حاجه، هانبدأ إمتى؟

- حالًا يا فندم، بس لازم تسيبلي نفسك.

قالتها ووقفت لتنظر إليه في حماس:

- أنا حاسه يا «نور» إنك محتاج تتغير من جوا وبرا.

- إزاي يعني؟!

تساءل «نور» في جهل، لتوضح هي له الرؤية:

- لازم إيمانك بنفسك يبقى واصلك، وعشان تحس بده لازم ترتاح في كل حاجه حواليك، وأنا عندي إحساس إنك فعلًا مش راضي عن حاجات كتير من اللي حواليك، إنت مش الشخص اللي ينفع يلبس بدله، ولا يعد في ديكور كلاسيك، حتى معرضك مكنش شبه لوحاتك، قديم ومفيهوش روح، عكس شغلك، ده مش إنت يا «نور».

- هو إنتي عرفتي ده كله عني أزاي؟!!

تعجب «نور» متسائلًا، لتجيب هي بتوتر وكذب ملحوظ:

- أبدًا إنت شخصيتك واضحه أوي.

- يظهر كده.

قالها متذكرًا «عشق» ليكمل:

- مع إني أنا شخصيًا مابفهمنيش، بس طالما كلكوا عارفين يبقى واضح إن عندكوا حق.

- ليه؟ هو إنت مين غيري شايفك بوضوح كده؟



بفضول تساءلت هي، ليجيب «نور» بتلقائية ساخرًا:

- أمي.

- طيب يالا يا روح ماما عشان عندنا شغل كتير.

تقولها وهي تسبقه ليتبعها في حالة انبهار، ليبدأ للتو معها رحلة يكتشف هو فيها نفسه للمرة الأولى، رحلة غريبة ليوم قصير ولكنه خالد، رحلة مختلفة داخل أعماق نفسيهما، توقف العقل عن العمل، وبدأ القلب ينبض بالحياة، مسقطًا كل الحسابات وهما يتأرجحان على أرجوحة الشاطئ متناسيَين كل الظروف، تشاركا فجأة الحياة لساعات معدودة، تطعمه وهو يرسمها، تختار ملابسه وهو يسمعها، خططا سويًا لشهور حياته القادمة، احترمت أحلامه بل وصدقتها ومن ثم خططتها، هناك من داخل غرفتها، حتى انتهى من وضع خطوط النهاية، ليرتخيا سويًا يشاهدان التلفاز من غرفتها دون أن يلمسها، ليناما في غرفتها كل منهما على سرير، يوم وليلة كعمر بالنسبة إليه، فلم تكن مجرد نجمة بالنسبة له، بل كانت حياة مليئة بالنجوم.

في الصباح استيقظا وقد كانت نهاية رحلتهما، شاركا بعضهما البعض توضيب سريريهما، ثم كشريكين أنهيا سويًّا تجميع أغراضهما لكي يبدآ طريق عودتهما للواقع بفتح «نور» باب السيارة إلى أميرته التي تقبلت لمسته بحب، لتركب إلى جواره في دلال، ليقود هو سيارتها، في رحلة أخرى بل شراكة أخرى، فرغم قيادة «نور» للسيارة إلا أنها كانت من توجهه، فلقد كان «نور» قويًّا دون أن يعرف، كان بارعًا، فقط يحتاج إلى التوجيه الذي فقده في حياته منذ وفاة



والده، كاللاعب الذي يحتاج إلى توجيه المدرب، بل إنه كان كالحصان الجامح، الذي يمتلك القوة ولكنه لا يرى الطريق؛ لذا يحتاج إلى فارسه ليعرفه خبايا السباق، وقد كانت «أحلام» هي الفارسة التي أمسكت لجامه، ليكسر هذا الحصان كل المقاييس، محققًا ما لا يتخيله عقل.

من السيارة توجه «نور» ممسكًا يد شريكته التي اندهشت من صفاء اللمسة، لتضم هي على يده وهي تهرب بنظراتها خارج النافذة، مستمتعة فقط بضم يده، حالها حاله، فلقد وهبته تلك اللمسة الحياة، وقد صارت السماء صافية، والطريق صار مريحًا، قصيرًا رغم طول مسافته، ليصلا إلى فيلتها في لحظة، هذا ما شعره «نور» الذي ظل يتساءل إذا كان هذا مجرد حلم من البداية!

- خلاص كده!

تساءل «نور» من أمام فيلا «أحلام»، لتجيبه في دلال:

- إنت اللي تقول.

- أقول إيه؟

- مش هاينفع أغششك كل حاجه يا «نور»..

ألهمته هي الإجابة التي قالها للتو:

- بحبك يا «أحلام».

سكتت «أحلام» للحظة ثم ابتسمت لتقول بهدوء:

- عارف يا «نور»؟ من أول سفريتنا وأنا بسأل نفسي سؤال.



ظهر القلق والفضول على «نور» لتجيب «أحلام» في قوة، فقد كانت هي الخيَّال من البداية:

- كان نفسي أعرف إنت هاتبوسني إمتى؟

- هو أنا ينفع أب.....

تساءل «نور» مندهشًا لتشير هي له بالإيجاب.

- بجد!

ينفع أبوس عادي؟!

ضحكت «أحلام» قبل أن يقترب «نور» ليقضم شفتيها بفاه، وهو يلعق لسانها بلسانه مستطعمًا للتو طعمها الدافئ الذي ظل يمتصه بنهم لم يكفها وإن أوقفته بصعوبة، ليبتعدا للحظة وإن ظل أنفهما متلاصقين، حتى تلاحما مرة أخرى، قبل أن يتوقفا أخيرًا دون أن يشبع أي منهما.

ترجلت «أحلام» من السيارة بصعوبة وهي تحاول لملمة نفسها، حال «نور» الذي حاول مساعدتها في جلب أغراضها، ومن ثم أقلها إلى بابها لتقف أمامه لتفتحه قبل أن تلتف:

- إوعى تمشي أبدًا غير لما تطمن إني دخلت، عشان أعرف إنك لسه بتخاف عليا.

ظل «نور» متوقفًا ليقول:

- بس إنتي إبقي لفيلي دايمًا قبل ما تدخلي، عشان أشوف وشك وأتأكد إنك لسه عايزاني.

- حاضر.



- هو ده حلم ولّا علم؟!

- مش مهم يا «نور»..

هو لو حلم هانعيشه كأنه حقيقه، ولو علم هانعيشه كأنه حلم.

- إوعديني ماتتغيريش.

- بلاش وعود يا «نور»، عشان محدش ينجرح، بس أنا عن نفسي عمري ماهخدكFor granted.

وهاحارب عشانك عمري كله.

- وأنا هاحارب عشانك يا «أحلام»، بس من غير وعود، هاحارب نفسي على الأقل.

- لأ يا «نور» أنا أبقى نفسك.

- يبقى هاحارب عشان نفسي يا «أحلام».

أمسكت «أحلام» بفيه ثم قبلته قبل أن تدخل ملتفتة إليه من الداخل ليعرف أنها بالفعل تريده، بينما ظل هو يتساءل إذا كان ما يحدث هو «حلم» أم «علم» غير مدرك أنه قد يكون «حلم واقع». تحرك «نور» سيرًا جارًّا حقيبته في الشارع، مليئًا بالحياة، فلا يريد هو أبدًا طلب أي سيارة أجرة بعد، فقط يريد السير، بل يريد الرقص، حتى أوصلته قدماه إلى تلك الفيلا التي يعرفها عن ظهر قلب، فلقد كانت فيلا طبيبه، ليندهش كيف وصل هنا بتلك السرعة!!! ظل متعجبًا يتأكد من المكان قبل أن يدخل «نور» للتو إلى طبيبه في سعادة بالغة، ليستقبله الأخير كعادته متعجبًا من ملابس «نور» ذات الطابع السيناوي، فلقد كان «نور» مرتديًا بنطالًا فضفاضًا يشبه بنطال



«علاء الدين» حال تلك السترة الكتانية البيضاء، فهم «ضياء» أن «نور» قد عاد للتو من رحلته ليبدأ إجاباته على أسئلة نفسه:

- مش مهم المهم إنك جيت، المهم جيت تحكيلي إيه؟

من داخل عيادة الدكتور «ضياء» اختار «نور» للمرة الأولى الاسترخاء على هذا «الشازلونج» ليرتخي قائلًا:

- أنا حياتي اتغيرت في يومين يا دكتور.

- تاني يا «نور»!

تساءل «ضياء» بملل، ليوضح «نور» مدافعًا:

- لأ المره دي مختلفه، ده ليفل الوحش.

- ههه، إشمعنى!

تساءل الدكتور، ليوضح «نور» مدافعًا كعادته:

- أنا حاسس إني أنجح.

- برضه اشمعنى؟

- قدرت مع «أحلام» في يوم، إني أخطط لأحلامي لسنين قدام، قدرت تقنعني إني أحول هزيمتي في المعرض الأولاني لمعرض تاني، وهاعمله بعد فتره قصيره، وبدل ما اللوحات تترمي، أو تتباع رخيصه، هازود فيها لوحات تانيه كتير، يا دكتور أنا حاسس إن طاقتي اتجددت.

- بس سامحني يا «نور» وإيه الجديد؟ دي مش أول مرة تكرر نفس الكلام!



قالها «ضياء» وتحرك ليجلس أمام «نور» ليتحدث بأبوة:

- «نور» إسمعني كويس المره دي، أنا بشوف فيك نفسي وأنا صغير، زي ما أكون أنا بالظبط بنفس اختياراتي، عشان كده أنا محتاج أوعيك يا «نور»، لازم تفهم إن النجاح ده بيكون بسببك إنت.... إنت اللي بتعمل كل حاجه بنفسك، المعرض ده معرضك، واللوحات دي لوحاتك، زي ما قلتلك ويكرر إنت اللي بتنجح، إنت بتاخد من الستات طاقه، بس للأسف الطاقه دي بتخلص بسرعه، وده اللي بيخليك مابتمشيش في علاقه لآخرها، الأمانه المهنيه تحتم عليا أفهمك إنك مريض بالهوس الاكتئابي، أو اضطراب المزاج ثنائي القطب، «باي بولر» يعني.

بصدق قالها وهو يكتب الاسم في ورقة صغيرة ليعطيها لـ»نور».

- لو سمحت إقرا عنه يا «نور»، إنت دارس علم نفس وهاتفهم.

بسخرية علق «نور» متعجبًا:

- ده أنا كنت فاهم إني بتحسن يا دكتور!

- «نور» ده مكنش سبب مجيك ليا من الأول، ومكنتش أتخيل إننا نتطرق للاكتشاف ده، يمكن تشخيصي يكون غلط، بس ده اللي أنا شايفه قدامي.

- طب تسمحلي أقولك حاجه يا دكتور؟

- أكيد.



- النهارده أنا مكنتش هاجيلك، عشان كنت حاسس إني خفيت، اليومين اللي فاتوا إدوني إحساس جديد، كل مره كنت بخون فيها مراتي، كنت بدور على المسكّن.

- ده حقيقي، بس عمر ما مفعول المسكّن بيطول يا «نور».

- بس المره دي مش مسكن، المره دي أنا حاسس إني قدرت أشخص مرضي، وعرفت إني بخون عشان سبب.

- وهو إيه؟

بصدق بدأ «نور» اكتشاف علته:

- إني مش سعيد يا دكتور، ناقصني حاجه، وعشان أتعالج لازملي عمليه، العمليه دي يا تموتني يا تحييني.

اندهش «ضياء»، واقترب قائلًا:

- ده معنى جميل وعميق يا «نور» بس صعب.

- أيوه يا دكتور، أنا مش هاعيش على المسكنات، أنا عايز أعمل العمليه وأرتاح.

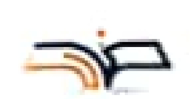
***

خرج «نور» من عيادة الدكتور «ضياء»، وظل يمشي وحيدًا في خياله، ولا تزال كلمات «ضياء» في خاطره عندما تساءل:

- بس هاتقدر تعمل العمليه يا «نور»؟

- مفيش حد بيحب يدخل العمليات يا دكتور.

أجابه «نور» ليوضح «ضياء»:



- يعني هاتستسلم للمرض؟

- لأ، هاحارب يا دكتور.

- يعني هاتواجه الحقيقه يا «نور»؟..... بس اشمعنى دلوقتي؟!

- عشان لاقيت حد يحارب عشاني.

قالها «نور» حينها قبل أن يترك عيادة طبيبه الشارد، فكلما تكررت القصة، وعاد إلى الأحلام، يجد نفسه عاجزًا عن تغيير الوقائع!!!

***

من معرض «مصر الجديدة» كان «أنس» يجلس وحيدًا ينتظر وصول أي مشترٍ، ممتلكًا هذا القدر من الصبر الذي لا يتحمله الكثير، فلقد برع في فن الانتظار، يراقب عمره المهدر في ثبات؛ إيمانًا منه بتجارة امتهنها نبيه من مئات السنين، ليتعلم عقله إدارة مختلفة للوقت، حيث صار يستطيع الشرود بعيدًا لينهي الكثير من التخطيطات وهو ساكن في مكانه، يسبح بحمد ربه بين الحين والآخر ليصبره على مرارة الانتظار. ظل «أنس» شاردًا في الآلام حتى وجدها بالفعل أمامه، تتوجه إليه دون الجميع، في زيارة غير متوقعة:

- حقيقي أنا مندهش من الزياره دي!

***

وصل «نور» شقته منتشيًا بعد رحلة ممتعة، مرتديًا جينز أزرق وقميصًا لبنيًا، دخل من الصالة يبحث عن زوجته جاهلًا ما



حدث، ومنها إلى غرفته، ليفتح الباب ليندهش من فوره، فلم يكن يتوقع أبدًا تلك المفاجأة!!!

***



(١٣)

من أحد مطاعم «مصر الجديدة» جلس «أنس» مندهشًا من زيارتها، وزاد تعجبه من اختيارها له دون غيره، إلا أنها كانت محترفة في النظرات، ولقد كانت في حاجة للحديث مع من يستطيع تقبلها، فالجميع يتوجه إلى هذا الصديق الذي نعلم مسبقًا إجابته، لنثلج صدورنا، وقد كان «أنس» من أكثر الشخصيات المريحة التي عرفتها، كما كان بالطبع كاتم أسرار «نور»؛ لذا اختارته، لتعترف أمامه بخطاياها، عل هذا يريح ضميرها!

فلقد كانت «عشق» تحتاج بالفعل إلى المغفرة، ولكن من خالقها، فضحية الأحكام المسبقة كانت، لم يسمع دفاعها أحد، الكل يراها متهجمة، بل وبائعة للهوى، وإن كانت لا تمتلكه، فأكثرهن هي بؤسًا وضعفًا، تلبي احتياجات الجميع دون ثمن، يصفها الكل بالرخص، ففاتورتها ليست باهظة، ولكن بهذا تُتهم! هذا ما كانت بالفعل تجهله، فالحب قد يكون غير مشروط ولكن لكل العلاقات ثمن، وكلما كان الثمن باهظًا، هاب الطرفان كسر التعاقد، ليظل كل منهما في مكانه، يطوف حول قبلته متذكرًا الثمن الذي صار بالفعل أثمن من الطرف الآخر!

ظلت «عشق» تقص بعضًا من حقائقها أمام «أنس» المندهش مما يسمع عن علاقتها بـ»ماهر» و»نور»؛ الأمر الذي زاد من حرجه؛ نظرًا لحساسية علاقته بـ»نور» ليقول في توتر:

- إنتي اختارتيني أنا ليه للمسؤوليه دي يا «عشق»؟



- عشان إنت إنسان، بني آدم.

- يا سيتي ما كلنا بشر.

- لأ.

قالتها بتهكم قبل أن تكمل ساخرة:

- مجتمعنا كله ملايكه، مابيغلطوش وأنا بالنسبه ليهم الشيطان الوحيد.

- كلنا بنغلط يا «عشق»، بس ماتأخذنيش يعني، أنا موقفي محرج، أنا طول عمري كاتم أسرار «نور» ومقدرش أخبي عليه حاجه.

- ماتخافش يا «أنس» أنا مش جايه هنا عشان إنت كاتم أسرار «نور»، أنا محتاجه حد أتكلم معاه قبل ما أعمل في نفسي حاجه.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، طيب خلاص إستهدي بالله واحكيلي، تقدري تعتبريني دكتور نفساني بس تحاسبي على المشاريب.

ابتسمت «عشق» ليربت على كتفها مكررًا:

- إحكي يا «عشق» وماتخافيش، هاعرف أفصل كويس.

- أنا حقيقي محتاجه دكتور، أنا فعلًا محتاجه أتعالج.

قالتها «عشق» بحزم، ثم تابعت:

- إوعى تكون فاكرني وحشه يا «أنس»، لا، أنا أكتر واحده اتظلمت، ولسه بتظلم، أنا أكتر واحده حظي قليل في الدنيا،



كل يوم بتنازل أكتر عن مبادئي، عشان آخد أقل حاجه من حقوقي، اتنازلت عشان «ماهر» وافقت أعيش في الظل، وافقت أحس إني مجرد مسكن، عشان هو يعيش مبسوط في حياته، بس كانت علاقه بارده، وبتبرد كل يوم أكتر، وكنت بحس إني عريانه ورخيصه، لغاية ما سمعت منه قصة «نور».

اعتدل «أنس» في جلسته لينتبه إلى وصفها إياه:

- في قصته شوفت وفاء، شوفت مشاعر، حسيت بقلب، حسيت بدفا يا «أنس»، كان طبيعي إني أحاول أحس إني بني آدمه، وكان طبيعي أتنازل أكتر، ما هو على الأقل «نور» يستاهل، لكن المره دي، ممليتش عين «نور».

قالتها جاهلة أن «نور» علم أنه لم يكن في حاجة إلى مسكن، بل إلى عملية جراحية معقدة؛ ليصلح ما في حياته من شروخ.

- معتقدش إن «نور» محتاج مسكن، «نور» محتاج تغيير حقيقي عشان يخف يا «عشق».

***

من غرفته ظهر التعجب على «نور» وهو ينظر إلى كل تلك الشموع والبالونات الموضوعة في كل أنحاء الغرفة، بينما «ذكرى» تتوسط المكان مُخفية تعبها ومرضها بالكثير من مساحيق التجميل، مرتدية فستانًا أبيض للسهرة، قبل أن تشغل الموسيقى، ثم تقترب من «نور» المذهول لتبدأ مراقصته، وهو لا يزال مصدومًا، مندهشًا من هذا المشهد الهزلي الذي يزيد من آلامه!



***

من أمام «أنس» أكملت «عشق» معترضة في غضب حديثه، فلقد كانت تهاب استفاقة «نور»، فإذا أدرك حالته وواجهها ستخسره إلى الأبد:

- مش هايقدر يا «أنس»، زيه زي غيره، هايتعب وهيرجع يدور على مسكن للألم، ولما يرجع هايلاقيني مستنياه برضه.

ابتسمت في انكسار ثم تابعت معللة:

- عشان أنا كمان مش هاقدر أقسى، يمكن عشان كل واحد فينا ضعيف بيجرح التاني يا «أنس»، عشان كده أنا عايزه أتعلم.

تساءل الرجل متألمًا، فلقد كانت شحنة اليوم مليئة بالسلبيات المؤلمة:

- تتعلمي إيه يا «عشق»؟

- أنا عايزه أتعلم القسوه يا «أنس».

دمعت «عشق» بصدق وتألم الضيف بانكسار:

- عايزه أتعلم أوجع زي ما بتوجع، حقيقي لو قدرت تعلمني القسوه هاتعالجني.

زادت دموعها لتبكي بكاءً مجروحًا، وهي تكمل:

- وساعتها بس هاتبقى دكتور بجد.

رجع «أنس» على كرسيه في حالة تعب ليمسك رأسه، شاعرًا بضعفه الشديد وقله حيلته.



***

من غرفتهما تراقص «نور» مع «ذكرى» في استسلام، منتبهًا إلى حبه الشديد لها، فلقد كانت هي طفلته التي يفتقدها، لم يعشق «نور» غيرها من قبل، ولكنها لم تكن هناك مؤخرًا، انشغلت عنه وتناست حاجته إليها، ليقتله الاشتياق والحنين إلى حضنها الدافئ الذي شرد فيه:

- كنت عايزني في إيه؟

تساءلت «ذكرى» ليجيب «نور» في تردد:

- مش فاكر.

- بس أنا عارفه.

توقف «نور» متوترًا قبل أن تعيده إلى صدرها مكملة:

- عارفه إنك حاسس إنك مقصر، بس الحقيقه دي غلطتي، دايمًا كنت بحاول أنافسك، عارف ليه يا «نور»؟

أومأ «نور» برأسه مندهشًا لتكمل هي:

- عشان كنت بغير منك يا «نور»، عشان مختلف، مختلف في كل حاجه، ماينفعش تتقاس بالقلم والمسطرة، إوعى تخلي حد يكرر معاك غلطتي.

اندهش «نور» من حديثها؛ لتكمل هي ناظرة في عينيه:

- إنت حر يا «نور»، البراويز بتموتك، أنا من غيرتي عليك حاولت أقيدك، بس خسرتك، خليتك تتلهي في الشغل والفلوس، رغم إن دي الحاجه الوحيده اللي عندنا، بس الحمد



لله أديني فوقت في الوقت المناسب.

- مناسب؟!!

تساءل «نور» مندهشًا:

- أيوه يا «نور» من النهارده هاتتغير، صدقني، مش هانعيش في العلم، هانعيش بس في الأحلام.

قالتها ليعود «نور» إلى حيرته لا يعرف الواقع من الأحلام!

- إنت هاترسم، وأنا هاكتب في الأجنده اللي جبتهالي، هاكتب قصتنا،

أسعد قصة حب بين اتنين، ومن النهارده أوعدك إني هاحارب عشانك لآخر عمري.

بحنان صادق قالتها، ثم دخلت هي في أحضانه قبل أن تنتهي الأغنية التي كانت تعمل؛ لتبدأ أغنية جديدة من غناء «أحلام»!!

***

من الشارع تحركت «عشق» من نفس الشارع الذي كان «نور» يسير فيه، يتكرر الكلام في أذهانها مثلما حدث له، متذكرة كلمات «أنس» حين قال:

- لازم تواجهي «نور» بالحقيقه، مهما كانت طبيعة علاقتكوا، ماينفعش يبقى فيها غش يا «عشق» وصدقيني أنا عارف إنه هايسامحك، عشان بجد الحقيقه بتريح.

أخرجت «عشق» هاتفها من جيبها لتتصل بـ«نور» الذي لا



يجيب كعادته، قبل أن ترسل له برسالة نصية:

«يا «نور» أنا عارفه إنك مشغول عني، أنا خلاص هاختفي من حياتك بس كنت محتاجه أقابلك مره أخيره»

من على سريره استقبل «نور» رسالة «عشق» وهو لا يزال يرتدي ثياب «دهب» التي لم يغيرها، من هذا البنطال الفضفاض، وتلك السترة الكتانية. اعتدل «نور» في جلسته ليطمئن من عدم رؤية «ذكرى» لهاتفه، ليقرأ رسالة «عشق» ولكن قبل أن يجيبها، استقبل رسالة أخرى من «أحلام»:

«تصبح على خير يا حبيبي»

ابتسم «نور» واستسلم للنوم هاربًا من واقعه إلى الخيال.

***

استيقظت «ذكرى» من جانب «نور» النائم على سريره ببيجامته الحريرية، لتطبع قبلة على جبهته، قبل أن تتحرك بهدوء حتى لا تزعجه، لتسرع في ارتداء ملابسها، وتتوجه إلى والدها، لتفطر معه، لتحاول تعويضه عن انشغالها عنه طوال سنوات كثيرة، اهتمت فيها بالدنيا حال الجميع، وتناست أهم ما تمتلك، كان والدها متألمًا مجروحًا، لا يعي كيف يواسي ابنته، فهربت دمعة من عينه لتمسحها هي بسرعة:

- ماتخافش يا بابا.

- أنا مش خايف يا بنتي، أنا بس عايز أطمنك ومش عارف.

- حبيبي مش محتاج تطمني، أنا دكتوره.



- ما هو عشان كده عارف إنك فاهمه.

- عارف يا بابا أنا إيه اللي خلاني أخش طب؟

صمت الأب جاهلًا لتكمل:

- دخلت طب لما سمعتك يوم بتقول لماما الله يرحمها، إن المهندس ممكن يعجز يصلح جهاز من صنع بني آدم، فتخيلي المطلوب من الدكتور إنه يعالج بني آدم من صنع رب عظيم عقولنا لغاية النهارده ماتقدرش تستوعب تكوينه.

ابتسم الأب في هدوء لتتابع:

- العلم يا بابا عمره ما كان كفايه إنه يجزم أو ينفي حقيقة الحياه، عشان كده كلنا مؤمنين بربنا، مؤمنين بحقايق عيشنها في الخيال، أحيانًا يا بابا بيكون الخيال أوقع من الواقع.

***

من غرفتها كانت «دلال» تتحدث إلى «لؤي» عبر الهاتف في توتر، تريد أن تقص عليه الحقيقة التي كان يجهلها، في محاولة للإصلاح بينه وبين «أحلام» جاهلة قسوة تلك الحقيقة على أقرب الأقربين:

- لو سمحت إنت مش فاهم حاجه، أنا هاقبلك وإنت هاتفهم الحقيقه كلها يا «لؤي».

أنهى «لؤي» الحديث في فضول؛ فلقد كان يريد معرفة أسرار «نور» الذي كان قد وصل لمقابلة «عشق» في أحد المطاعم بعد إصرارها المتكرر لمقابلته؛ ليجلس معها اليوم يحاول الدفاع عن نفسه.



- يا «عشق» أنا بس فشل المعرض تعبني.

قالها «نور» في كذب ملحوظ، ثم أضاف:

- بس خلاص، هاعمل معرض جديد بعد يومين وعزمت فيه أسماء كبيره، وهراهن فيه على نفسي مره كمان، وكمان زودت تلات لوحات مهمين.

ابتسمت «عشق» التي تعرف كذبه، لتقول في هدوء:

- أنا مش جايه أعاتبك يا «نور»، إنت كده كده هاتنجح لو صدقت في نفسك، أنا جايه أقولك الحقيقه، اللي كان لازم أقولهالك من زمان.

اندهش «نور» متسائلًا:

- حقيقة إيه؟!

- الراجل اللي كنت متجوزاه قبلك....

اقترب «نور» فجأة من المنضدة في حالة ترقب، غير منتبهة أن من على بعد عدة طاولات كان «لؤي» قد وصل إلى «دلال» التي قصت عليه الحقيقة للتو.

- هي دي بقى الحقيقه يا «لؤي»، عشان ماتظلمش «أحلام».

قالتها خاتمة القصة، ليبتسم «لؤي» ابتسامة شر، بعدما عرف ما يجهله «نور» للتو! هذا بينما كان «نور» من على بُعد خطوات يتلقى صدمة عمره من «عشق» التي قصت عليه هو الآخر حقيقة علاقتها الأولى بـ«ماهر»، ليقف بصعوبة تاركًا



«عشق»، وإن كان ألم قلبه قد أثر في أطرافه حتى كاد يقع، لتقترب هي لتساعده، قبل أن ينهرها ويخرج بصعوبة وحده إلى الخارج.

ليسير هو في شوارع وسط القاهرة بجرأة لا يعهدها، متوسطًا الطريق السريع، يمشي على هذا الخط الأبيض المتقطع، وكأنه ينتظر سيارة ما لتنهي مأساته، فلقد ظلت خيوط قصته تتشابك حتى صار يأمل البدء من جديد، فلن يستطيع أي عقل فك كل تلك التشابكات، عرف للتو مأساة صديق عمره الوحيد، الذي تعدى دون علم على طليقته، فهل يلوم نفسه عما حدث، أم يلوم «ماهر» على خيانته لزوجته؟! والآن وقد علم، فماذا سيفعل؟ كيف سيواجه صديقه الذي خان للتو ابنة خاله «دلال» التي كانت بمثابة أخته الصغيرة؟ فمضطر هو للصمت، فهو الآخر يخون أختها الأكبر مرارًا وتكرارًا، عجز «نور» عن الحكم على «ماهر» كما عجز في الحكم على «عشق»، ولكنه أشفق على نفسه، أشفق على حاجته الملحة في كسر «ذكرى» وإن كانت أكثر من يحب، اليوم صار كاذبًا محترفًا، لا يستطيع الجهر بأقل الحقائق، لا يستطيع الإجابة على هاتفه، لا يستطيع الإفصاح عن مكانه أو صحبته، فلقد كان يكذب على «عشق» كما كان يكذب على «ذكرى» وحتى أنه يكذب على «أحلام» خائفًا على مشاعرها، وقد كانت تلك علته، يخاف على مشاعر الجميع؛ الأمر الذي زاد من ضعفه، حتى خسر مصداقيته، فهو يجمل الحقائق دومًا وإن كان صادقًا في كل منها، شعر «نور» بامتلاكه أكثر من شخصية، كمرضى الفصام، يستطيع التواجد داخل أكثر من مجتمع كل منهم مختلف، يعشق تناقضاته، ولكن لن يتقبلها غيره، كل

منهم يريد فقط واحدة، لم يجد من يستطيع تحمل اختلافاته، بل وكل من حوله عاشق لجزء فقط منه، لم يجد من يعشق كل تناقضاته، فلن يستطيع تحملها عاقل، فمن يحب الفنان يبغض رجل الأعمال، ومن يحب حريته يبغض رزانته، ومن يحترم عقله، ينقض جنونه، حتى صار كاذبًا في نظر العالم، لن يصدقه بشر بعد الآن، ولكنه كان وحده يعرف حقيقة لن يصدقها بشر، حقيقة مؤلمة، فحبه الأول كان لزوجته «ذكرى»، حب صادق كاد يكون خاليًا من براءته، فهي بالنسبة إليه كعبته التي يطوف حولها في طمأنينة، وكأنها إيمان داخلي بأنها ربه الذي لا يستطيع ملامسته، حال «أحلام» التي كان يشعر بدمائها، شريكة تتحرك معه في الطواف ممسكة يده، بشرية مثله، أحبها بصدق، وإن كان يرى فيها سوأتها التي عجز عن رؤيتها في ربه، ومن بينهما خطأ، هو حب جسدي لم يشبعه أبدًا خسر فيه هالته ليُطرد من الجنة إلى ألم الأرض، فقد حلمه إلى واقع أكثر قسوة، تمنى فيه الهلاك، تمنى فيه الغياب، بل تمنى التلاشي، ليهرب «نور» إلى فنه ممسكًا بريشته لينهي من مرسمه وحيدًا ما تبقى له من فن، لوحة فنية جديدة تجسد آلامه، ترجمت ريشته للتو مشاعر صادقة متهيجة، كانت هي دافع الفن من الأساس، فالفنان هو مجرد انعكاس حساس لمشاعر مجروحة. أنهى «نور» لوحته الأخيرة في الوقت المناسب صباح معرضه الثاني الذي ساعدته فيه «أحلام» في الخفاء، داعية أهل الفن والمشاهير، ليصبح هذا اليوم يومه الأخير في عالم الأحلام.

وصل «نور» إلى المكان الذي اختارته «أحلام» للمعرض والذى كان فى قاعة حديثة الطراز مختلفة عما سبقت، وإن



كانت لا تقل فخامة عن معرضه الأول، ولكنها كانت قاعة تتماشى مع حقيقة «نور» هذا الشاب الطائش الثائر على واقعه، كان «أنس» في المعرض مع بعض العمال، حياه «نور» قبل أن يغمز «أنس» له مشيرًا إلى أحد الأركان البعيدة حيث كانت تجلس «أحلام» على منضدة شبابية مرتفعة، فابتسم «نور» وهو يقترب إليها قائلًا بهدوء:

- أنا آسف، ملقيتش حد غيرك أروحله.

- وليه تروح لحد تاني؟ إنت خلاصTaken يا حبيبي.

قالتها وهي تقف لتحتضنه قبل أن تلاحظ صلابته، فتوترت متساءلة:

- في إيه يا «نور»؟ قلقتني بجد!

- مش لاقي حد أروحله، معنديش صحاب.

ربتت «أحلام» على كتفه قائلة:

- طيب هاتفق معاك اتفاق، أنا ممكن زي ما كنت مديرة مكتبك، ممكن كمان أبقى صاحبتك.

- المره دي أنا مش بس محتاج صاحب، يظهر أنا فعلًا محتاج دكتوري النفسي يعالجني.

كانت «أحلام» تعلم بامتلاك «نور» الكثير من الشخصيات الداخلية، بل وكادت تحبها جميعًا، عدا تلك الشخصية الضعيفة الانهزامية التي تظهر من بين الحين والآخر، تظهره كشخص أناني، يهتم فقط لأمره متناسيًا مشاعر الجميع، وإن جهل كل من حوله، أن هذا الشخص يظهر فقط عند شعوره



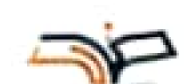
بالخطر، ليدافع عن بقائه، حال جميع الكائنات الحية، كانت تلك فطرته، وكان هذا دفاعه، الذي بات يظهر على الساحة كثيرًا، بعدما صار «نور» دائم العيش في خطر يهدد استقراره، فلقد صار بالفعل ضعيفًا، يصرخ في صمت للجميع، مشيرًا إلى حاجته للمساعدة دون أن ينتبه بشر.

- طب بما إن من الحاجات الحلوه اللي فيك، شخصياتك الكتيره، أنا كمان جوايا شخصيات كتيره، ومن هنا ورايح مش هاتحتاج دكتور،

أنا هابقى دكتورتك احكيلي.

ظهر على «نور» الارتياح، ليبدأ من حوله هؤلاء العاملون تحت إشراف «أنس» يقومون باللمسات النهائية للمعرض.

***



(١٤)

ساعات طويلة ظل فيها «نور» يقص فيها حكايته «حتى ظهر الضيق على «أحلام» التي لم تستطع الفصل بين شخصياتها المتعددة، حال «نور»؛ لتعلق بصوت مختلف مُخفية غيرتها الأنثوية:

- بص يا «نور» أنا هانسى إني الست اللي حبتك، عشان أقدر أناقشك في اللي حصل، ورغم إني مقدرش أنكر إني مصدومه، لكن سعيده بصراحتك، ومش هاحسبك على اللي فات، أنا مكنتش أعرف موضوع «عشق» ده خالص، وطبعًا إنت ظلمتها، مش العكس، وواضح يا «نور» إنك ظلمت كتير أوي.

بحزن قالتها، ليعود «نور» إلى حالته الدفاعية المعهودة:

- ده قبلك يا «أحلام»..

هدأته «أحلام» معلقة:

- أنا مش حبيبتك دلوقتي يا «نور»، أنا صاحبتك أو دكتورتك، وإذا كان الدكتور بتاعك كان عنده حق في حاجات، فبرضه ممكن يكون غلطان، كله حسب اختياراتك إنت، إنت اللي بتحدد إنت عايز إيه.

باحترافية عادت النجمة إلى الحديث بواقعية شديدة يمقتها «نور» الذي علم أنه يتوجب عليه في لحظة الاختيار، لن يستطيع استكمال حياته في تلك المنطقة الدبلوماسية التي ترضي الجميع، تلك المنطقة الرمادية التي كادت تقتله



بنظرات الشك والتخوين، فالكل رغم حُبهن له، لم يمتلكنه، فهو حائم حول الحمم، يخاف مواجهة اختياره، كالطفل الصغير يبحث عن أمه لتقوده إلى الطريق الصحيح، بل إنه حتى صار يكره الاختيار، يريد من خالقه أن يخلصه من حيرته، واضعًا إياه في طريق من اتجاه وحيد.

- إنت اللي بتختار يا «نور» تمسك مين وتسيب مين، أنا كل اللي هاممني دلوقتي صاحبك، اللي إنت مش عايز تقولي هو مين، وده حقك، بس خساره تهد الصداقه دي.

قالتها «أحلام» جاهلة أن الصديق الذي تحدث عنه «نور» كان «ماهر» الذي خان صديقة عمرها!

- أنا حاسس إني خونته هو كمان.

- مش صحيح، ده كان اختياره، وهو دفع حسابه، أنا مش شايفه سبب يخليك تخسره، بس في المواقف دي، مش لازم نقول الحقيقه، الحقيقه ساعتها مش بتفيد، دي صداقه مش عشق ما بين اتنين، ولكل واحد دوره في حياتنا، وهنا جيه سؤال «أحلام» اللي حبتك.

قالتها بجدية أرهبته؛ ليعود «نور» لشخصيته الجبانة التي تريد التخلص من الموقف، دافنًا رأسه في التراب كالنعام:

- أنا لازم أعرف اختيارك يا «نور»، وحقي أتأكد منه.

- إنتي قولتي إنك هاتحاربي عشاني.

قالها «نور» بخوف وتلعثم أظهر مرضه وهو يهرب من نظراتها، فهو كان عاشقًا لزوجته «ذكرى» ولم تكن مجرد أم



لابنته، لم يكن هذا الرجل الذي يكمل حياته متقبلًا زوجته على مضض، بل كان عاشقًا لها، محبًا لتفاصيلها، وكان بالفعل في حاجة شديدة لها، ولكن «ذكرى» كانت قليلة المجهود، فقدته وهي تصارع في عالم آخر، ليظل «نور» ينتظرها علها يومًا تتذكره لتبث فيه الحياة، مفتقدًا تلك الرحلة التي لم تشاركه إياها، ليظل يبحث عن شريك في كل محطة، يؤنسه لفترة قبل أن يخرج من قطاره بعدما يتأكد من سلبية «نور» الذي ظل جليسًا في مقعده على أمل أن يراه قائد القطار عائدًا به إلى مسكنه.

- وإنت كمان يا «نور» لازم تحارب عشاني، عشان كده أنا هانسحب فتره لغاية ما تعرف أولوياتك، بس نصيحه يا «نور» بلاش توعد مرتين وماتوفيش.

بقوة تمتلكها قالتها طابعة قبلة على خده، قبل أن تنسحب تاركة «نور» وحيدًا كعادته من داخل المعرض الذي أوشك العمال من الانتهاء منه، لتبدأ الحركة تتسارع، حتى حانت الساعة، ورُفع الستار وبدأ الجمهور في الوصول إلى المعرض، عكس معرضه الأول الخالي من أي زوار، إلا أن «نور» ظل يبحث بنظره عن أي وجه يعرفه دون جدوى، فلقد كان كل جمهوره من أهل الفن التشكيلي منه أو الغنائي من طرف «أحلام»، ولكن لم يكن أي منهم يعرف «نور» إنسانيًا، جميعهم صار يعرف فنه، والآن صار «نور» يبحث عمن يعرفه هو، ولكنه تناسى أنه أهمل دعوة أهله وأصدقائه، حارب وحيدًا حتى نسيهم كما أهملوا هم حلمه.

ظل «نور» متوقفًا في شرود أمام لوحة «أحلام» التي رسمها



منذ أيام في فخر، قبل أن يظهر من جانبه «لؤي» في شماتة:

- مبروك.

ظهر الاندهاش على «نور» قبل أن يضيف «لؤي»:

- طبعًا «أحلام» مش جايه.

- وإنت إشعرفك؟!

تساءل «نور» في ضيق، ليكمل غريمه تشفيه قائلًا:

- هو إنت صدقت إنها بتحبك صحيح؟ ههه، حقيقي إذا عرف السبب بطل العجب ولا إيه؟!!

- مش فاهم!!

تساءل «نور»، ليجيبه غريمه في ثقة:

- أنا ممكن أريحك وأقولك الحقيقه يا «نور»،

اللي هاتخرجك من الحلم.... للواقع!!!

قالها ليستمع «نور» للوهلة الأولى إلى علته مكتشفًا تلك الحقيقة التي هرب منها منذ سنوات عديدة، حتى أنهى «لؤي» قسوته تاركًا «نور» متوقفًا في عجز أمام لوحة «الخائن» تلك اللوحة التي تأكد «نور» من فحواها، دمعت عيناه وهو يسمع صوت زوجته «ذكرى» تهمس داخل عقله:

«أنا آسفه يا «نور».. النهارده أنا مضطره أكتب نهاية قصتنا»

التفت «نور» يمنة ويسرة يبحث عنها في كل مكان، ولكنها



لم تكن هناك، بل فقط في خيالاته، وغريمه «لؤي» الذي قص على «نور» الحقائق المؤلمة عندما قال له متحديًا:

- لو مش مصدقني يا «نور»، روح دلوقتي للهانم بتاعتك، مش اسمها «ذكرى» تقريبًا؟ ههه، روح يا «نور» وإنت هاتعيش الكابوس اللي مش هاتعرف تصحى منه أبدًا.

حاول عقل «نور» المريض رفضها في البداية، ولكن اليوم كان يختلف عن البارحة، فلم يعد يستطيع إنكار الحقائق، فقد يكون اليوم هو اليوم الأخير لهذه القصة بالفعل. ترك «نور» معرضه الفني وأسرع مهرولًا ليتحقق مما تجاهل، ليزداد توتر «نور» المتوجه إلى بيته، يتمنى أن يعطيه الخالق فرصة أخرى، لحظات مرت كالدهر وهو يحاول الاتصال بها علّه يكذب ما كان يعرفه بالفعل! مكالمة تلو الأخرى دون أي رد، فلقد كانت «ذكرى» في عالم آخر لا تستطيع الإجابة، فهي تسطر بيدها حروف نهاية قصتها، من داخل غرفتها وحيدة كعادتها، تتابع كتاباتها ورسالتها الأخيرة من داخل أجندتها الحمراء التي أغلقتها لترمق الاسم الموضوع عليها وقد كان «حلم واقع»، دمعت عيناها لتروي حروف قصتها التي عاشت شهورها الأخيرة في خيانة حرة، وإن كانت خيانتها هي له، فلم تواجهه بالحقيقة، لتتركه لصدمة عمره.

وصل «نور» إلى عقاره وصف سيارته في منتصف الطريق، وترجل مسرعًا، ليهرع إلى الداخل، لم يستطع انتظار المصعد، ليصعد طابقًا تلو الآخر، وأنفاسه تكاد تتوقف، فلقد كان متألمًا مما فعل بنفسه، كان مستعدًّا بالفعل للتغيير لسبب ما جهله حينها، تصاعد خوفه عندما وجد باب شقته مفتوحًا،



دخل كالمجنون يبحث عن «ذكرى» في كل مكان، حتى توقف أخيرًا أمام غرفة نومهما، كان يعلم أنها لا تزال بالداخل وقد كانت! اقترب بخطواته الخائفة شيئًا فشيئًا، ليمد يده المرتعشة وفتح هذا الباب الذي لن يستطيع إقفاله بعد اليوم، ليتسمر مع الحقيقة التي وجدها بالداخل، الحقيقة التي لم يعد عقله يستطيع إنكارها، فلقد كان بالفعل «حلم واقع»!

كانت غرفة «ذكرى» بالطبع خالية إلا من طيفها الذي كان يراقب «نور» من بعيد، تقدم «نور» إلى مكتب «ذكرى» مندهشًا من غيابها، ليجد تلك الأجندة الحمراء الساحرة، قبل أن يسمع كلمات «لؤي» في ذهنه:

- يا «نور» إنت عيان، ومراتك ميته بقالها تلات سنين.

***

من ثلاث سنوات كان «فضل» بجانب ابنته «ذكرى» التي تجهز نفسها لتلك العملية التي كان يجهلها «نور» حينها، بناء على طلبها، فكانت تعرف جبن قلبه، فحنت عليه بأمومة وتركته حالمًا في فنه غير منتبهٍ إلى موتها المتسارع في تلك الفترة حينها:

- مش الأصول كنا نبلغ «نور» برضه يا بنتي؟

علق الأب في توتر، لتجيب «ذكرى» في حزم:

- لو سمحت يا بابا إنت وعدتني.

سكت الأب في ضيق بينما ظلت الممرضات من حولها يجهزونها لمواجهة صارمة تحتاج فيها بالطبع زوجها، فهو



الرجل والسند الذي لم يقم بدوره حينها، حتى دخل الدكتور «رؤوف» ليستعجلها بابتسامة زائفة، لتتحرك «ذكرى» معه على الترولي مودعة أباها لتدخل وحيدة إلى هذه المعركة دون دفاعاتها، داخل غرفة العمليات التي انهمك فيها الدكتور «رؤوف» ليحاول جاهدًا استئصال هذا الورم المتمسك بـ»ذكرى» لا يريد أن يفارقها، أقرب إليها من الجميع، وبأقصى درجة إليها، يرفض خيانته لها، فكما عاهدها لن يفارقها حتى يفرقهما الموت!

***

سقط «نور» الآن أرضًا بعدما أدرك الحقائق ولا تزال كلمات «لؤي» تتكرر داخل ذهنه:

- «ذكرى» ميته يا «نور» ميته إكلينيكيًا بقالها تلات سنين، من ساعة العمليه اللي عملتها، واللي إنت طبعًا مكنتش تعرف عنها حاجه، ما إنت أضعف من إنك تواجه حاجه زي كده.

«ذكرى» مش عايشه معاك يا «نور»! إنت بس اللي مش قادر تطلع من أيامك الأخيرة معاها، وكل اللي إنت عايشه ده مجرد فلاش باك لآخر أيامك معاها اللي هي كتبتهولك قبل العمليه، عشان كعادتك وصلت متأخر.

...

ظن الدكتور «رؤوف» أن عمليته قد نجحت، إلا أن «ذكرى» لم تستطع الخروج من تلك الغيبوبة، ليخرج طبيبها مصدومًا ليواجه الدكتور «فضل» و»دلال»، ليتوقف أمامهما للحظة ليصدمهم بحقيقة وواقع مؤلم يتوجب عليهم الدعاء حتى



يتقبلوه، باحثين في الخيال عن حلم أوقع من الحقيقة!

وقفت «دلال» ساندة على الحائط تدمع قبل أن تسقط شيئًا فشيئًا إلى أسفل ببطء وهي لا تزال تلامس الحائط حتى جلست أرضًا تبكي، لتقترب منها بنتاها الاثنتان من اليمين واليسار متسائلتين عما حدث في تلك اللحظة التي وصل فيها «نور» مضطربًا لا يفهم ما يحدث، كالمجنون يبحث عن حبيبته، حتى أشار البعض إليها داخل تلك الغرفة موضوعة على تلك الأجهزة التي تحاول شراء ساعات إضافية لأنفاسها، ليصرخ قبل أن يسمع صوتها.

«أنا آسفه يا «نور».. النهارده أنا مضطره أكتب نهاية قصتنا»

***

ظلت كلماتها تتكرر في ذهن «نور» منذ هذا الحدث قبل ثلاث السنوات الماضية وحتى تلك اللحظة التي هو فيها الآن داخل مكتبها بغرفتهما، ليجلس من أمام تلك الأجندة الحمراء ويفتحها متذكرًا سبب زيارته للطبيب «ضياء» من البداية، فلقد كان يحاول الهروب من هذا الواقع الذي رفضه، فلم تكن مشاهده مع «ذكرى» أوهامًا، بل حقيقة، كل مشهد تكرر على ذهنه كان قد حدث بالفعل، ولكن منذ سنوات ثلاث، عاش فيها «نور» وحيدًا في عالمه بعيدًا عن احتياجات زوجته، دون أن ينتبه إلى دوره الذي أهمله كزوج، ليقتله ضميره عن الإهمال، ليظل يبحث عن فرصة أخيرة ليكفر عن خطاياه؛ الأمر الذي جعله حبيس شهوره الأخيرة مع زوجته «ذكرى» يعيد عقله موقفًا تلو الآخر معطيًا إياه الأمل في عودتها من تلك



الغيبوية في يوم ما، وكان هذا تفسيره لظهوره دائمًا بملابس مختلفة مع «ذكرى» دون أن ينتبه عقله أن تلك المشاهد مكررة لما عاشه منذ ثلاث سنوات ودونته «ذكرى» لتعيش في ذكراه، وقد فعلت طوال تلك الشهور الطويلة التي رفض فيها عقله غياب «ذكرى» الأمر الذي تداول بين الجميع، ليصبح «نور» صاحب تلك القصة المحببة للنساء، قصة وفاء، زوج رفض تقبل موت زوجته حتى إكلينيكيًا، لتتعامل النساء مع مرضه بعطف جارح، ليصبح وفاؤه مطمعًا لهن، يعيش هو في جحيمه، بعدما رسم نفسه في إطار «الخائن» جاهلًا سبب احتياجه، وإن كان احتياجه منطقيًا، فلقد كان يبحث عن واقع يتوسط أحلامه.

بكى «نور» على الذكرى وهو يقرأ كلمات «ذكرى» لقصتهما منذ الصغر حتى غادرت، دون إنذار، في خيانة حرة احترامًا لضعفه، لتعود كلمات «لؤي» الآن إلى ذهن «نور» المريض عندما قال له في المعرض:

- ولغاية دلوقتي يا «نور» مراتك بتتعذب عشان إنت مش قادر تريحها، وتاخد قرار واحد صح في حياتك، وسايبها جمبك تتعذب، عشان إنت مش بس ضعيف يا «نور»، إنت كمان أناني.

صدق «لؤي» في بعض كلماته رغم قسوته، فلقد رفض «نور» التوقيع على موافقته سحب «ذكرى» من على أجهزة الحياة، كعادة ضعفه يهاب الفراق، يهاب الفقد، لا يستطيع أبدًا التوقيع على ورقة الوداع، وكان كعادته يمقت نزاهة الاختيار، تمنى أن يحررها الخالق في أي العالمين، فهو خالقها



وعنده تُسترد الودائع، أما «نور» فهو أضعف من ذلك؛ لذا كان يصرف كل ماله وما تركته «ذكرى» على ذلك المستشفى الذي اختاره بعيدًا عن مستشفى خاله، ليحمي «ذكرى» من أبيها؛ الأمر الذي زاد من ضعفه المادي، فلم يصرف من مالها يومًا على حياته، بل سخر لها كل ما يستطيع، فلقد كان يحلم أن تعود يومًا إلى الحياة، ظل يعتقد في خيانته لها، وإن كان بالفعل وفيًّا إليها، فبالفعل لم تكن هناك.

أغلق «نور» الأجندة الحمراء وقرر التحرك إلى المكان الذي رقدت فيه زوجته، فخرج بانكسار ونزل سلم العقار بهدوء مميت، قبل أن يتصاعد نبضه، ليبدأ في الهرولة حتى وصل إلى سيارته، ليقود كالمجنون متوجهًا إلى المستشفى الخاص المسجونة فيه زوجته التي ظلت تتحدث إليه في ذهنه:

«تعالى يا «نور» أنا مستنياك»

وصل «نور» إلى المستشفى بينما الجميع كان يرمقه في همس، فلم يكن يأتي لزيارة «ذكرى» أبدًا، كان يهرب من واقعه إلى الخيال، وصل «نور» أخيرًا إلى غرفتها وسط اندهاش الأطباء الذين منعوا التمريض من التدخل. دخل «نور» الغرفة الموضوعة فيها «ذكرى» على أجهزة التنفس الصناعي، ليجلس إلى جوارها باكيًا وهو يقبل يديها الضعيفة، بعدما ذهب جمالها وصارت جثمانًا، قبل أن يسمع همسها في عقله:

«إوعى تزعل يا «نور»، إوعى تعيط، أنا عِشت معاك أسعد سنين حياتي، وآسفه إني مقدرتش أسعدك زي ما أسعدتني، بس أنا كتبت قصتنا يا «نور»، كتبتها في أجندتك عشان



ماتنسهاش، كتبتها عشان تكملها، لسه الطريق مخلصش، أنا آسفه يا «نور» علمي ماساعدنيش، احلم يا «نور»، وخد بالك من «فرح»، مكنش نفسي أيتمها يا «نور»، أنا آسفه»

أمسك «نور» الأجندة الحمراء مبتسمًا قبل أن يمسح دموعه ليسمع باقي همسها:

«إضحك يا «نور» واكتب إنت كمان قصتك، قصتك لسه مابدأتش، إقلب الصفحه يا «نور» أنا محتاجه أرتاح»

أومأ «نور» برأسه ثم قبل رأسها، ممسكًا بيديها لساعات طويلة، قبل أن يلاحظ من زجاج الغرفة «دلال» متوقفة دامعة الأعين بجانب «أحلام»، ليخرج «نور» إليها في غضب:

- إيه اللي جابك يا «أحلام»؟!! جايه تشوفي علاجك جاب نتيجه ولَّا لأ!!

ماتخافيش يا «أحلام» أنا خفيت بفضلك، بفضل كدبك.

قالها «نور» الذي فهم دفع «دلال» بصديقتها «أحلام» متعمدة إلى حياته.

- لأ يا «نور»، إوعى تصدق، أنا حبيتك فعلًا، حبيتك من كلامهم عليك وعلى وفائك من قبل ما أشوفك.

ساخرًا أجاب «نور»:

- آه عطفتي عليا، وقلتي راجل كويس ألحق أجيب منه عيلين يسلوني.

بقسوة قالها «نور» لتنفي هي:



- لأ يا «نور» صدقني.

مستخدمًا كلماتها رد «نور» في هجوم قاسٍ:

- أصدقك ازاي دلوقتي! اللي يكدب كدبه صغيره، يعرف يكدب الكدبه الكبيره، مش ده كلامك، إمشي يا «أحلام» لو سمحتي.

- «نور»!!!

تدخلت «دلال» ليعنفها «نور»:

- وإنتي كمان يا «دلال» إمشي لو سمحتي، عايز أكون لوحدي...

تحركتا مغادرتين قبل أن ينادي «نور» «أحلام» التي توقفت ملتفتة تمسح دموعها:

- إنسيني يا «أحلام»، عشان أنا نسيتك، زي اللي قبلك، بس على الأقل اللي قبلك كانوا أنضف...

قالها ودخل إلى زوجته ليعود إلى أحلامه من جانبها وهو يقرأ كلماتها التي عاشها من داخل أجندتها الحمراء.

***

من مكتبه كان «ضياء» يكتب في أجندته حالة «نور» مستمتعًا بتلك القصة التي جذبت إليه الكثير من النساء:

- «ذكرى» مكنش ليها ذنب، ولا «نور» كان ليه ذنب.

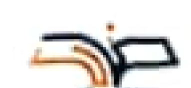
«نور» مش خاين، «نور» حاله فريده ومختلفه، عايش حياتين، حياته دلوقتي، وحياه تانيه، عايشها «فلاش باك»،



عايش في آخر شهور لـ»ذكرى» قبل غيبوبتها، عايشها في كلامها اللي دونتهوله في أجندتها، مش قادر يفصل بين الحياتين، المشكله إن ده مش تخيل أو

هلوسه، لأ، «نور» عايش اللي حصل فعلًا، عايشه من عيون «ذكرى» زي ما كتبته، «نور» مش خاين، «نور» حالة نادره، حاله نادره من الوفاء، لكن الخيال ده وخلوه من أي احتضان واقعي، بتخليه دايمًا يحتاج لست، لكن للأسف كل ما بتظهر ست، بيحس إنه بيخون مراته، لأنه لغاية دلوقتي مش قادر ياخد القرار ويريحها....

***



(١٥)

أيام طويلة ظل فيها «نور» للمرة الأولى بجانب «ذكرى» بعد ثلاث سنوات من التجاهل الرفض، اليوم قد تم علاجه بالفعل، لا يعرف السبب الذي جعله يصدق ما حاول الكثيرون مرارًا مواجهته به، ولكنه صدق الآن بالتحديد، ليمكث إلى جانبها يحاول إدراك عجزه، حتى وصل إليه حموه الدكتور «فضل» الذي دخل غرفة «ذكرى» الفاقدة للحياة.

- إزيك يا «نور» يا بني؟

- خالي!

- ياه يا «نور»، بقالي كتير ماسمعتش كلمة «خالي» وحشتني.

ابتسم «نور» ليجلس «فضل» إلى جواره في تعب:

- أنا آسف يا خالي.

- ماتتأسفش يا «نور» يا بني، أنا اللي آسف إني مفهمتش زعلك وتعبك، ماتخيلتش إن في حد ممكن يحب «ذكرى» زيي.

شرد «نور» وهو ينظر إلى سكونها:

- «ذكرى» دي حياتي يا خالي، بنتي زي ما هي بنتك، أنا ربتها وإنت مشغول عنها، «ذكرى» دي مش بني آدمه لا أبدًا، هي مش بشر، دي ملاك، عمرها ما زعلتني، عيشتني مطمن، هي سر نجاحي في كل حاجه مش غيرها، عشان عيشتني في راحة بال، سابتني أحلم وعاشت هي الواقع لوحدها، شالت



المسؤوليه كأنها أرملة، عمرها حتى ما طلبت مني حاجه، عمرها كله بتديلي من غير حساب، نفسي بس تقوم ولو دقيقه أحاول أعوضها.

ربت «فضل» على كتف «نور» قائلًا:

- أكيد كلامك واصلها يا «نور» صدقني.

بإيمان قالها دون أن يرى طيفها الذي كان حاضرًا تستمع إلى كلماته بتقبل.

- يعني إنت فعلًا موافق يا خالي؟! عايزني أموتها بإيدي دي؟! هو إنت مش دكتور.. يئست ليه؟!

دمع الأب قائلًا:

- يا بني «ذكرى» كانت عارفه إن علمنا كله ولا حاجه قدام إرادة ربنا، إحنا بنحاول نساعد الخلق إنهم يعيشوا كويس، لكن مانقدرش نوهبهم الحياه.

- طب ليه عايزني أنا اللي أعمل ده بإيديا؟!

- عشان أنا يا «نور» لما سلمتهالك، كنت عارف إنها بقت مسؤوليتك.

- بس أنا أضعف من المسؤوليه دي يا خالي.

- بالعكس، إنت طلعت أقوى واحد فينا يا «نور»، ربنا طالما خيرك يبقى عارف إنك قد الاختيار.

اندهش «نور» ليتابع خاله:

- أيوه يا «نور» إنت، بس المهم في اختيارك إنك ماتقاوحش



مع ربنا، لو عايز يوهبها الحياه، صدقني مش هاتحتاج للأجهزه دي كلها.

- مش قبل ما أسمعها منها، أنا دايمًا كنت بسمعها.

- يبقى أكيد هاتسمعها يا «نور» يابني، وساعتها تقدر تختار.

قالها «فضل» وترك تلك الورقة التي تنتظر توقيع «نور» ليتخذ المستشفى الإجراءات في فصل «ذكرى» عن أجهزة الحياة، لتستقر في عالم آخر يجهل هو حقيقته، حال الجميع، نظر «نور» إلى تلك الورقة الموضوعة على المنضدة التي أمامه بجانب قلم حبري أسود، ليمسكها في تردد بعد سنين من الرفض ليقرأها للمرة الأولى قبل أن يخطف «فضل» نظرة أخيرة لـ«نور» وابنته وتركهما مغادرًا، ليظل «نور» وحيدًا بجانب جسدها الخالي من الحياة، يقرأ هذا الإقرار، يجهل ما ينتظر، فهو يعرف علة الهوس الاكتئابي الذي وصفه له الطبيب، فلقد كان دارسًا لعلم النفس، ويعرف صعوبة اتخاذ القرار لمن هم في حالته، وإن كانوا مبدعين أو مختلفين، فسيظلون في بعض الحالات الأساسية عاجزين، كان الإقرار من صفحة وحيدة أنهاها «نور» ثم نظر إليها في حاجة لمساعدتها، قبل أن يحسم أمره ويمسك القلم ليقوم بالتوقيع، لامس حبر قلمه مكان التوقيع المحدد في الورقة، ولكن عجزت يده عن الحركة، فعلّته في عقله وليست في سلوكه، فهذا الهوس الاكتئابي، ليس مرضًا نفسيًّا بل عضويًّا، يمتلك خلايا معقدة في المخ تمنعه من اتخاذ تلك القرارات، وبالطبع توجب عليها مساعدته، فلقد كانت تعرف علته.



«كفايه يا «نور» كفايه كده»

سمعها «نور» بالفعل ليسقط القلم من أمامه، معدّلًا جلسته ليرى هذا الطيف عن يساره يحدثه في صورتها:

«أنا مكاني مابقاش هنا، وده كان اختياري مش اختيارك»

- لا، ماتمشيش.

قالها «نور» قبل أن تهمس في أذنه مطمئنة:

«أنا مشيت من سنين يا «نور»، بس ساعتها كنت خايفه عليك، دلوقتي أنا خلاص مطمنه، تذكرتي كانت اتجاه واحد، ماتخافش يا «نور» أنا مش جايه أسألك، خلي بالك من نفسك، دي مش ملكك لوحدك»

قالتها وتبخرت ليخرج «نور» من الغرفة باحثًا عنها في ممر المستشفى دون جدوى، فلقد كانت مجرد طيف بعثها القدير قبل أن يطلب أمانته، ظل «نور» يبحث عنها يمينًا ويسارًا قبل أن يسمع صوت جهاز القلب يعلن توقفه عن العمل، رغم تلك الأجهزة المعقدة التي صنعها الإنسان بكل ما توصل إليه من علم، لحظة وصل فيها كل التمريض والأطباء عندما انتبهوا لصوت الإنذار، حاول الجميع الوصول إلى المشكلة التقنية ولكنها لم تكن كذلك، دقائق عجزوا فيها عن كل ما تعلموه من علوم لإنقاذها، حتى استسلم الجميع لإرادة الله الذي رحم «نور» من قسوة قرار كان بالفعل يتعدى إمكانياته المحدودة، لينهي الأطباء تلك المعركة الخاسرة، فاصلين تلك الأجهزة عن جثمان «ذكرى»، وتبدأ الممرضات بإخراج تلك الكانيولات من أوردتها، في مشهد لم يتحمله وإن كان كُتب عليه مواجهة



المزيد، فلقد كانت لديه فرصة لوداعها وداعًا يليق بها.

أصر «نور» على تغسيل جثمان حبيبته بنفسه، رافضًا مساعدة الجميع، ليلامس كل بقعة من جسدها المنطفئ، بتلك الإسفنجة المبللة وبيديه غسل «نور» هذا الجسد الذي تبقى لـ»ذكرى» على تلك الأرض، يطهرها من كل سوء، داعيًا ربه برحمته الواسعة أن يغفر ذنوبها. دقائق مرت عليه كالدهر وهو يمرر المياه التي دفَّأها حتى لا تؤذيها، فلقد عجز عن إدراك ما يحدث.

أنهى «نور» عمله قبل أن تطلب مسؤولة الدفن الدخول بهذا الكفن الأبيض المجهز إليها، لم يبكِ «نور» كعادته، بل وقف بمساعدة خالقه الذي أصدر أوامره للعقل بإفراز كل الأدرينالين المطلوب لتحمل تلك اللحظة، بدأ «نور» يساعد تلك السيدة في ستر جسد «ذكرى» العاري، بهذا الثوب الأخير الذي سيرافقها حتى التلاشي، أنهى «نور» تكسية جسد حبيبته، قبل أن تكمل السيدة تغطية وجهها، ليدرك «نور» أنها اللحظة الأخيرة، فاستوقف السيدة للحظة ليطبع قبلة أخيرة، ثم تركها لتنهي العمل، قبل أن تقوم السيدة باحترافية بربط الكفن بأحزمة قماشية، ليتألم «نور» من قسوة الربطة، وإن عرف أن هذا الجسد سيتلاشى تاركًا هذا الحزام القماشي للتهاوي بعد أيام معدودة.

***

من أمام الكفن أمَّ «نور» المصلين صلاة الجنازة، أربع تكبيرات دعا فيها إليها بقدر تقصيره، ثم حمل جثمانها مع الجميع إلى مثواها الأخير، عند مقبرة العائلة، حيث أنزلها



مع رجال الدفن إلى أسفل، ولم يرافقه من العائلة إلا صديق عمره «ماهر» الذي تناسى كل أسئلته وظل معه متحملًا رائحة الموت، التي ذكرت كل منهم بالحقائق التي تناسوها في الدنيا، وضع «نور» «ذكرى» في بقعة صغيرة موجهًا وجهها إلى قبلة خالقه، ليتأكد أنها كانت مجرد بشرية من صنع خالقه، ليستعيذ قلبه من الشيطان الذي تملكه، بينما بدأ بقية الرجال تغطية كفنها بالتراب، قارئين لها آيات القرآن، حتى كاد الأكسجين ينفد من المكان، ليغادر الجميع وآخرهم «نور» الذي ظل يشاهد رجال المقبرة وهم يغلقون فتحة الأرض بالكثير من الأحجار المبللة، حتى أحكموا سجن الأموات، ليذهب الغرباء ويظل الأقربون، حتى ذهب الجميع وبقى «نور» حتى الفجر، يجلس وحيدًا بجانبها يحاول أن يؤنس وحدتها، حتى نام وسط تلك المقابر الموحشة، ليستيقظ صباحًا على يدي هذا الترابي الذي وبخه، ليقود «نور» سيارته، تاركًا كل ماضيه، هاربًا من أسئلة ابنته التي أهملها طوال السنوات الثلاث الماضية، فكيف يساعدها اليوم وهو يجهل الإجابات لأسئلتها!

***

ترك «نور» كل شيء وأغلق هاتفه وهاجر إلى «دهب» التي استقبلته فرحة، منذ لامست قدماه أرض الفيروز، حتى وصل فندقه المفضل ليستقبله عامل الفندق الذي عرفه من فوره بالطبع، ليبدأ «نور» رحلة بحثه عن ذاته، حاول مرارًا الاتصال بـ»عشق» ولكنه كان يعرف أنه سيظلمها مجددًا، ليجد أخيرًا منفسًا لطاقته، يسهر إلى الفجر يتراقص مع الجميع، وينام



في الصباح ممددًا على شواطئ «دهب» المختلفة، فقد كل ملامح الحياة، فلقد عرف سر النهاية، تلك الحفرة البغيضة التي سيُدفن فيها، فلم يحاول سابقًا الحفاظ على حياته التي سيفقدها لا محالة، بات عقله متقبلًا فكرة الموت أكثر فأكثر، فقد تركه الجميع لآلامه حتى اختفى القديس الذي كان، وتركه في صورته الخالية من الحياة، حتى كاد قلبه يتوقف عن النبض، فالمال لا يشفيه، والأضواء لا تلهيه، ظل يصرخ في صمت، يفكر دائمًا في المغادرة، الذهاب بلا عودة، الذهاب إلى ما هو أبعد من الاختفاء، بل التبخر بين العوالم، صارت الفكرة أكثر إلحاحًا، فلقد بات الألم أعمق، الحياة لم تعد تطاق، فلقد قتلوا روحه مسبقًا، لم يعد هناك مكان شاغر لديه، فكلها محجوزة مسبقًا، قاوم بما يكفي، الآن يريد أن يخرج عن النص، يحتاج إلى إجازة طويلة، فقط يريد استراحة لا أكثر دون إيلام الآخرين، لا مزيد من الخذلان، باتت الرغبة أقوى، وباتت الرهبة من الموت تبتعد، فالموت لم يعد يخيف، بل يقترب منه شيئًا فشيئًا، صار يكتب عنه كثيرًا، يسمعه يهمس في أذنه مبشرًا إياه أنه لن يعود وحيدًا، فلقد كانت تلك نقطة ضعفه، كان يخاف من أن يُسجن يومًا في قبره سهوًا، لذا أوصى من أحب، أن يزوروه ليتأكدوا من تلاشي روحه، اليوم أدرك أنه خسر معركته مسبقًا، لم تعد وظيفته في الحياة تناسبه، عرف أنه لا زال عاجزًا عن إتمام خطوته الأخيرة ناحية النهاية، ولكنه بات أقرب إليها منذ سنين؛ ضحية اكتئاب عقله المهووس، ذهب إلى غرفته يومًا وفتح أجندة «ذكرى» الحمراء التي طلبت منه متابعة كتابة قصته فيها، أمسك قلمه ليكتب رسالة الانتحار، ليذكر بها العالم الذي عزله وحيدًا، اليوم أو بعد



حين، إنها نهاية وحيدة لطريق من اتجاه وحيد، رُسم له من قبل الوجود، فلم يصل غيره إلى الخلود؛ لذا قرر قبل ساعات قليلة من عامه الجديد إنهاء خطوته الأخيرة، لينظر إلى تلك الشفرة الحادة بغزل، حيث كانت تغريه بقوتها وصرامتها، تستطيع إنهاء مأساته في لحظة، ليضعها من فوره على أوردته، لحظات قليلة مرت كالدهر، تابع فيها شريط حياته، ليجد كم إخفاقاته، وإن كان أعظمها إخفاقه في حمد ربه على نعمه، فكيف كفر القديس بكل ما امتلك وقد سخَّره الله من أجل غيره! تراجع «نور» من فوره في لحظة كادت تكون الأخيرة، لحظة انسحب فيها خوفًا من خالقه، قبل خوفه من الألم، لحظة انتصر فيها خيره ليتراجع شيطانه وإن لم يختفِ، بل إنه هناك ينتظر اللحظة المناسبة لإنهاء مهمته، تاركًا له بعض الوقت، ليعود إلى العالم الذي جهل ما في داخله من ألم، ليبدأ «نور» في «دهب» رحلة عطاء، يبثُّ السعادة في أرواح الآخرين، الذين جهلوا مصدر طاقتهم التي لا تُستحدث من عدم، غير منتبهين أن منبع «نور» بات جافًا، حيث كان «نور» قد أكمل ترهبنه الذي لن يفيده في حسابه، فلقد ثقلت موازينه، ليظل حبيسًا في جسده يقرأ تلك الرسالة التي كانت من قديس أخطأ في حق نفسه من أجل الجميع، والتي لن يفهمها إلا من صدقه وآمن يومًا برسالته، فلم يكن أبدًا إلا مجرد كلمات وحبر على ورق.

«إصحى يا «نور» دي مش النهايه، أنا دايمًا معاك، إقرا الرساله»

استيقظ «نور» من حلمه فزعًا من أمام تلك الأجندة الحمراء



التي كتب فيها كلمات لم يفهمها، فأغلقها في خوف قبل أن ينتبه إلى تلك الشفرة الحادة الموضوعة بجانبها وبها آثار الدماء، لينتبه إلى هذا الجرح في وريده، ليقف مفزوعًا ليعود إلى صوابه مطهرًا جرحه، قبل أن يخرج إلى الشمس للمرة الأولى منذ أسابيع، ليظل يجري في الأسواق كالمجنون، ظل يجري حتى أُنهكت قواه ليستسلم ويقع أخيرًا في نصف السوق، ليسرع إليه أحدهم بالمياه، ليجلس في محله يستعيد أنفاسه، تتكرر كلماتها على مسامعه:

«إقرا الرساله»

في غضب حاول «نور» إيقاف همسها، حتى انتبه إلى هذا المحل الذي كان يجلس فيه في ضيافة الرجل الذي ضايفه للتو، كان المحل صغيرًا، عرضه لا يتعدى المترين، وعمقه لا يتعدى الخمسة، مليئًا باللوحات الفنية، انتبه «نور» للتو إلى الرجل الذي كان فنانًا تشكيليًا مهدر الحق، يقوم الآن برسم الوشوم على أجسام السائحين، لحظات أدرك فيها «نور» الواقع، ليظل يرمق تلك الرسومات التي بعثت فيه الحياة، بينما لاحظ الرجل إعجابه، وقد كان الرجل بسيطًا وإن كان يدخن سيجارًا محليًا، خطفه «نور» من فم الرجل المتعجب مبتسمًا دون تردد، ليبدأ «نور» تدخينه ساعلًا، ليضحك الرجل، بينما تذكر «نور» طبيبه الدكتور «ضياء» مدخن السيجار، كما تذكر كلماته التي كان يقصها عليه خاصة تلك المتعلقة بالنجاح الذي كان يؤمن أن سببه الرئيسي هو «نور» نفسه، إلا أنه كان يفتقد الدافع، من وسط اللوحات انتبه «نور» لهذا المنشور الذي طبعه الرجل لهذا الحلم الذي كان



يسعى إليه، أشار «نور» إلى الرجل متسائلًا:

- إيه ده؟!

- ده حلم عمري.

قالها الرجل الخمسيني الذي لم يرتدِ إلا مايوه سباحة، حافي القدمين، ليقرأ «نور» تلك الرسالة التي كانت موجهة إليه هو دون غيره.

«فنك هو لغتك....

مهما كانت جنسيتك أو لغتك، قد نستطيع قبولك، فقط أرسل إلينا فنك لنقرأه، فنك هو لغتلك».

كانت تلك رسالة من معرض أوروبي في باريس لاستقبال اللوحات الفنية من جميع أنحاء العالم، ليبتسم «نور» للتو ناظرًا إلى زميله الجديد متقبلًا هذا التحدي:

- أنا عايز أروح.

- وأنا كمان، كل سنه ببقى عايز أروحه.

- عايز تكسب؟

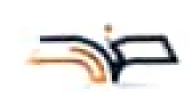
- لأ عايز بس أروح.

ابتسم «نور» مادًّا إليه يده:

- أنا «نور».

- وأنا «راجي».

حيا «نور» الرجل وهو يدخن سيجاره، ليبدأ «نور» في إدراك



غايته التي خُلق لها. عاد «نور» إلى غرفته مسرعًا في حالة من التفاؤل ليغتسل، مزيلًا كل هموم قلبه، ثم ارتدى ملابس «دهب» الفضفاضة وأخرج أجندة «ذكرى» الساحرة متذكرًا قصتها التي قصها عليها من اشتراها منه، وعن تلك الأحلام التي تتحقق فيها، ليشعر بالأمل عن قريب. ذهب «نور» إلى الشاطئ ليلًا ليبدأ في تدوين أحلامه، مستمعًا إلى صوت البحر ساعات طويلة كتب فيها «نور» بقية قصتها التي لم تنتهِ بعد كما ذكرت «ذكرى»، دون كل آماله، تحدى في كتابته الواقع، بل تحدى القدر بدعاء ربه ليسخر له العالم ليحقق «نور» كل أمنياته، التي بدأت تتحقق بالفعل كما وعدته تلك الأجندة الساحرة، التي أطاعت «نور» هذا الشاب ذا الشخصية الحماسية الملهمة، وهو لا يزال يستمع إلى صوت البحر، ليتغير مصير «نور» منذ هذا اليوم الذي بدأ فيه بالكتابة التي ستلازمه إلى نهاية حياته، وليُخَلَّد في عقله هذا اليوم مرتبطًا بصوت البحر الهادئ.

حيث استيقظ في الصباح على حال آخر، زاد حماسه وطاقته، فقد بات يرسم ليلًا ونهارًا، يخط بيديه لوحات فنية يجهل إن كانت تغضب خالقه وقت الحساب، ولكنه لم يمتلك أي طريقة أخرى للتفريغ عن آلامه التي أبدعت في خلق لوحات فريدة من محل صديقه الجديد متذكرًا كلمات غريمه «لؤي» حين قال ساخرًا:

«تبقى عالمي يعني وكده، ربنا يدينا ويديك طولة العمر»

ليزداد غضبه وعزيمته، خاصة عندما تذكر كلمات «أحلام» حين قالت:



«ربنا عدل، وعمره ما بيضيع تعبنا، وما بيزرع حلم في قلوبنا، إلا وعارف إن ممكن نحققه»

***

من باريس كان «نور» في غرفته التي تشاركها مع صديقه «راجي»، بعدما استطاع كسر حاجز الخوف وركب تلك الأسطوانة الحديدية القاتلة، ليمكث في هذا الفندق الصغير المجاور للحي «نواسي» حيث كانت المسابقة، ليدون باقي قصته داخل تلك الأجندة الحمراء من على هذا المكتب المطل على شارع صغير مليء بالحياة، كان يكتب بسعادة عن استقبال الأوروبيين له بحفاوة؛ نظرًا لفنه الذي لم يفهمه أقرب الأقربين له، دون سخرية أو تنمر:

- يا «نور» ماينفعش نتأخر، النهارده النتيجه، كمل كتابه لما نرجع.

- حاضر حاضر.

قالها «نور» وهو يغلق الأجندة ليتحرك تاركًا الغرفة، إلى المعرض الذي كان على بعض مجموعة مبانٍ، ليتوجها إليه سيرًا، كان المعرض خلابًا حديث الطراز وليس كلاسيكيًّا كما يتخيل الجميع، عُلقت فيه كل اللوحات من أمام فتحات زجاجية كبيرة، وكانت لوحات «نور» في آخر المعرض، توسط معروضاته لوحة «الخائن» بين لوحة «أحلام» ولوحة «ذكرى» بجانب لوحتين جديدتين.

خرج «نور» من المكان هربًا قبل دقائق من إعلان النتيجة، كان مرتديًا بذلة سوداء وضع عليها رقمه، أخرج من جيبها



سيجارًا كوبيًا غاليًا، ليلامسه بلسانه قبل أن يشعله من هذا المكان السماوي المسموح به في التدخين، قبل أن يجده أمامه يدخن هو الآخر ضاحكًا، تلعثم «نور» غير مصدق وهو يدقق النظر:

- دكتور «ضياء»!!

اقترب منه الرجل ليحييه.

- أيوه يا سيدي الدكتور «ضياء»، اللي تعبته معاك.

بلهفة وعدم إدراك تساءل «نور»:

- إيه إللي جابك هنا يا دكتور؟!

- مقدرش أعرف خبر زي ده ومجيش أباركلك، بصرف النظر إنك كنت مريض، إنت برضه بالنسبه لي صديق، وزي ما قلتلك، إنت قريب جدًا مني، بتفكرني بشبابي بالظبط، بنفس النجاح اللي هاتنجحه دلوقتي.

باندهاش تساءل «نور»:

- تيجيلي «باريس»؟!!

يحاول «ضياء» تقليل وطأة الحدث:

- كنت في أجازه يا «نور»، وبعدين إنت ناسي إني فنان تشكيلي برضه يا «نور» ومتابع كل حاجه؟ أنا لقيتها فرصه عشان أباركلك.

لم يقتنع «نور» ليكمل الرجل:

- المهم ممكن تسمحلي بدقيقه من وقتك؟



- آه طبعًا... أصلًا شويه وهايعلنوا النتيجه، وأكيد مش عايز أسمعها.

تعالى اعزمني على قهوه فرنساوي.

يبتسمان ويتوجهان إلى كافيتريا خارجية، ليتابع «ضياء» حديثه ممسكًا بقهوته:

- أنا جاي أقولك حاجه مهمه يا «نور».

- إتفضل يا دكتورنا العظيم.

- إنت لما جيتلي يا «نور»، أنا كنت شايف في حالتك مشاكل كتيره،

مش بس رفضك لفكرة موت «ذكرى» لأ، رفضك ده كان مبني على إحساسك بالذنب إنك كنت مقصر، وده من سماحة شخصيتك، السماحه اللي كانت سبب في كتير من مشاكلك، النهارده أنا جاي أسألك فين السماحه دي؟

أنا حاسس إننا اتغيرنا خالص.

- إحنا مين؟!!

تساءل «نور» منبهًا لشيء ما ليكمل تساؤلاته:

- أنا مش فاهم يا دكتور!

- لأ فاهم يا «نور»، بلاش يابني التماهي في كل حاجه كده، بلاش تحب أوي وترجع تكره أوي، أنا جايلك عشان أوصلك معلومه، كان نفسي توصلني وأنا في سنك، وندمان عليها لغاية دلوقتي، وأديني زي ما إنت شايف عايش لوحدي.



توتر «نور» ليكمل «ضياء» منبهًا:

- صعب أوي نحب ونتحب مره في حياتنا، والأصعب يا «نور» إنها تتكرر.

سكت لحظة وهو ينظر إلى المعرض من بعيد، ثم تابع:

- إنت عارف يا «نور» أنا قولتك كام مره إن «ذكرى» ماتت؟.... بلاش عارف كام واحد قالهالك غيري؟... كتيييير يا «نور»..... «نور» إنت فعلًا اتعالجت، بس مش أنا السبب.. لأ، السبب إنك حبيت بجد، حبيت واتحبيت، إنت عملت العمليه الجراحيه فعلًا يا «نور»، بلاش غباء واستفيد من نتيجتها، أنا كده خلصت كلامي يا «نور»، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد.

قالها الرجل وتوقف لينظف نظارته الطبية قبل أن يخرج سيجارة ليشعلها وهو يقول:

- يا ريت ماتكررش غلطتي، وتعيش زيي مجرد... حبر على ورق.

قالها الدكتور «ضياء» ثم تحرك، ليترك «نور» لشروده قبل أن يقف الأخير مناديًا:

- دكتور «ضياء»!!

التف «ضياء» إلى «نور» الذي اقترب إليه، ليسأله في تعجب:

- إنت ليه دايمًا بتظهر كده في الوقت المطلوب؟!



- تقصد في الوقت المكتوب يا «نور».

بذكاء قالها وهو يضع يده على صدر «نور» حيث كان يضع شيئًا ما داخل بذلته، ثم نظر إلى أعلى وتابع:

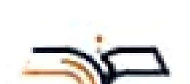
- دي بتاعت اللي خلقنا، كل شيء مكتوب... كل شيء مكتوب يا «نور»

قالها والتف ليتحرك قبل أن يفرد يديه ليقول أخيرًا:

- إنت ذكي، بس نصيحه، ماتفكرش كتير.

ظلت الأسئلة على وجه «نور» قبل أن تُفتح أبواب القاعة من خلفه، ليلتف مندهشًا من خروج الكثير من المباركين، موجهين الكاميرات صوبه، ليتعجب ويلتف مرة أخيرة فرحًا إلى طبيبه، الذي كان قد اختفى إلى أمد طويل!!!....ليظل «نور» يبحث عنه بنظراته، من وسط الحشود دون نتيجة، حتى أدرك أنه قد فاز لتوه بالمركز الثاني، في هذا المعرض العالمي، الذي أمَّن له الكثير والكثير، فلقد صار بالفعل عالميًا، من بلد يؤمن بالفن والفنانين، ليبادل «نور» نظرة شكر إلى صديقه «راجي» الذي حقق حلمه هو الآخر في فرصة المشاركة في هذا المعرض الذي كان يهمله كل عام... بسعادة وضع «نور» يده داخل سترته ليلامس جلد أجندته الحمراء التي كان متلهفًا ليقص إليها ما حدث للتو، وهذا بالفعل ما فعله فور عودته إلى غرفته مع زميل رحلته، ليدون فيها تفاصيل تلك الرحلة، ليقرأها مِن بعده مَن يهتم، إلى كل مَن آمن يومًا برسالته...

***



(١٦)

من عيادته كان «ماهر» يقوم بالكشف على إحدى الحالات، ظاهرًا عليه الهم والانكسار، فلقد كان بالفعل يفتقد صديق عمره هو الآخر والذي لم يعرف عنه أي شيء منذ وفاة زوجته:

- ها يا دكتور!!

انتبه «ماهر» إلى كشفه قائلًا لمريضته:

- معلش أنا آسف، دي الأدويه اللي مطلوبه، وياريت ترجعيلي بعد ما تعملي الأشعه.

شكرته المريضة وخرجت قبل أن تطرق الباب، لتعود وتسأل «ماهر» الذي ظهر عليه الضيق:

- يعني أرجع لحضرتك إمتى؟

- يا فندم لما تعملي الأشعه.

خرجت السيدة قبل أن يسمع «ماهر» طرق الباب مرة أخرى، ليذهب في انفعال ثائر:

- يا...

- يا إيه يا عم؟

قالها «نور» مبتسمًا من عند باب صديقه، ليزول غضب «ماهر» الذي احتضنه دون تردد:

- يالًا مفيش وقت نضيعه.

قالها «نور» الممسك بيد صديقه الذي تساءل متعجبًا:



- مش فاهم!

- هانروح الهرم.

- أفندم!!

- هاتيجي ولّا أمشي؟

- لا حاضر يا بن المجنونه، معلش سامحيني يا طنط «إنتصار».

- يا دكتور العيانين.

- معلش إلغي كل حاجه.

قالها «نور» الذي قرر إنهاء حسم القضية من هذا المكان دون غيره، وسط اندهاش «ماهر» العاجز عن فهم صديقه الذي لم يفصح عن سبب هذا المشوار، واكتفى بقص كل ما حدث منذ وفاة «ذكرى» وحتى فوزه بالجائزة الثانية ب»باريس»؛ الأمر الذي فرح به «ماهر» فرحًا جمًّا لم يتوقعه «نور» الذي تحامل فترة على صديقه. أنهى «نور» قصته فور وصولهما إلى هذا الأثر الضخم، ليحاسب «نور» سائق التاكسي الذي أخذهما إلى هذا المكان مبتسمًا:

- اسم الكريم إيه؟

-»عاطف»

- عاشت الأسامي.

ابتسم «نور» إلى الرجل الذي تلاشى ليتحركا سويًا إلى سفح الهرم، ليتناسى «ماهر» تساؤلاته كلها عند رؤية هذا المكان



الذي جمعهما منذ الطفلوة، مستمعًا إلى صوت البحر في خياله، تساءل «ماهر»:

- إنت عارف ياض أنا بقالي أد إيه مجتش هنا؟

- من ساعة آخر مره جينا فيها سوا، من أكتر من عشرين سنه يا صاحبي.

بثقة أجابه «نور»، ليكمل «ماهر» في سخرية:

- طب وجايبنا هنا ليه يا ابن المجنونه؟!

- عشان النظره اللي على وشك دي.

مبتسمًا قالها «نور» وهو يتحرك من أمام «ماهر» تجاه الأهرام.

- عارف يا «ماهر» إحنا مشكلتنا كانت إيه؟

- لأ كده هاسمعك.

- مشكلتنا إننا نسينا إن إحنا أصحاب، وافتكرنا إننا أهل.

اندهش «ماهر» ودافع:

- بس إحنا أهل فعلًا يا «نور».

- ما هي دي المشكله يا «ماهر»، إحنا عمرنا ما بنعري فضايحنا قدام أهلنا، عشان ماخترناهمش، وبنخرج نختار أصحابنا اللي زينا، بنختار بعض زي ما إحنا، بعيبونا قبل حلونا، مابنحاولش نتذوق، وبنسمع فضايح بعض عادي، من غير أحكام، لكن لما بنكبر ونقرب من بعض أكتر، ونقول إننا بقينا أهل، بنرجع نبعد تاني.



اقترب «ماهر» من «نور» وقال بصدق:

- بس إنت أخويا يا «نور».

- وأنا مش عايزك أخويا يا «ماهر»، أنا عايزك صاحبي اللي اختارته يا حمار.

ضحك «ماهر» محتضنًا «نور» قائلًا:

- حاضر يا صاحبي.

مسح «نور» دموعه وترك «ماهر» ليكمل:

- عارف يا «نور»؟ رغم إني الكبير، لكن كنت دايمًا شايفك أكبر في نظري، دايمًا سابقني بخطوه، وكل ما أحاول أجاريك في طريق، بلاقيك فتحت طريق تاني، قطعت نفسي يا ابن اللذينه.. ههه.

ضحكا سويًا ثم أكمل «ماهر» ساخرًا:

مش بعيد أكتشف إنك بعد ما نجحت في الرسم، ألاقيك بدأت تأليف كمان.

- إنت بتقول فيها؟ أنا بكتب فعلًا.

يضرب «ماهر» «نور» الذي يضحك.

- غور يالا يا ابن القديمه.

- أنا هاسيبك تضرب عشان محتاجك بس.

- محتاجني في إيه ياض؟ مش بتقول بقي عملت فلوس؟

غمز «نور» صديقه قائلًا:



- لأ ما أنا عايزك يا صاحبي في حاجه من تأليفي.

ابتسم «ماهر» بطفولية متذكرًا أيام شبابهما، ليستمع إلى هذا السيناريو المحكم.

***

من هذه الأوبرا كانت «أحلام» تنشد إحدى أغنياتها الجديدة، بينما كان مساعدها الذي عاد إلى عمله منذ فترة ينتظرها في غرفتها كعادته، ولكن ظهر على «لؤي» الضيق من تواجد «ماهر» الذي ظل يقص عليه هذه القصة الغريبة، حتى أدرك «لؤي» كذب «ماهر» ليتساءل في ذكاء:

- طيب إزاي «دلال» مابلغتنيش؟ ما هي معاها رقمي!!

توتر «ماهر» وقال في غضب:

- يا غبي بقولك ما تعرفش، ماتعرفش، أنا حياتي بتدمر، أرجوك يا «لؤي» استعجلي «أحلام».

- يا عم أستعجلها إيه! هي بتغني في صالون بيتكوا، إحنا في الأوبرا.

قالها «لؤي» مندهشًا قبل أن يسمع صوتًا في ذهنه كاد يجزم أنه صوت «نور»:

«كان لازم أتصرف، ما هو أنا مش هاكرر غلطتي تاني..».

- إيه الصوت ده؟!!

تساءل «لؤي» في توتر قبل أن يعلو من الخارج صوت التصفيق، ليبتسم «ماهر» قائلًا:



- آه واضح إن الحفله خلصت.

من على خشبة الأوبرا انحنت «أحلام» لجمهورها، ليعلق «نور» من مكان ما، سمعته هي:

«بس للأسف مقدرتش أكون موجود»

رفعت «أحلام» رأسها فجأة، لتبحث من بين عيون المعجبين عن صاحب الصوت، ولكنه لم يكن هناك! لتغادر «أحلام» خشبة المسرح متوترة عائدة إلى غرفتها، لتجد «ماهر» فتتفاجأ غاضبة وتقف مندهشة، لتتجه بنظراتها إلى «لؤي» معاتبة، قبل أن يدافع:

- والله دخلته عشان في مصيبه عنده مش أكتر.

- مصيبة إيه؟!

بتوتر تساءلت «أحلام»:

- «دلال» عرفت إني باخونها يا «أحلام» وطالبه الطلاق.

تذكرت «أحلام» للتو قصة «نور» التي قصها عن صديق لم يفصح عن اسمه لتقول في ضيق:

- هو إنت اللي كنت...!!

- أنا إيه!!!

تساءل «ماهر» مندهشًا، لتسرع هي ساترة «نور» بذكائها:

- لا، ولا حاجه، طب ما هي عندها حق.

- والله كانت نزوه، أرجوكي يا «أحلام» تعالي معايا البيت،



خليها تفتحلي بس أكلمها لو دقيقه، أنا ممكن أموت نفسي.

- طيب طيب، حاضر هاجي معاك حالًا.

- يالا بينا.

قالها «لؤي» بتلقائية ليوقفه «ماهر» متعجبًا:

- استنى هنا رايح فين؟! دي أمور عائليه.

- آه طبعًا، معلش يا «لؤي» لو احتجتك هاكلمك من تليفون «دلال».

قالتها «أحلام» ليتقبل «لؤي» قبل أن يدرك «ماهر» شيئًا شيطانيًا ليفتعل خطة جديدة من أجل صديقه:

- لا، تعالى يا «لؤي»، إنت مش غريب.

تعجبت «أحلام» لينظر لها «ماهر» بثقة:

- ماتقلقيش.... هو أنا ينفع أتكسف من «لؤي»؟ ده حبيبي.....

بفرح تبعهما «لؤي»، غير منتبهٍ لما سيحدث له، ليركب الجميع سيارة «ماهر» الذي وصل بهما إلى عقاره، ليصعد ثلاثتهم، حتى وصلوا أمام شقته ليدخل «ماهر» المفتاح في كالون الباب، لتنهره «أحلام».

- عيب يا «ماهر» إضرب الجرس، إنت دلوقتي غريب.

اندهش «ماهر» مما قالت، ليضغط الجرس في تحفظ، قبل أن تفتح «دلال» الباب في سعادة أدهشت «أحلام» و«لؤي»، ليعاتبها «ماهر» بنظراته لتتفهم، وتفتعل البكاء:



- «ليااال»... ماتحوليش يا «أحلام»....

دخلت «أحلام» خلفها مندهشة، لتجد الجميع ينتظرها في سعادة، دون أي أثر للحزن، لتشعر «أحلام» فجأة بالحيلة لتلتف وتجد «نور» يخرج من غرفة الطعام، لينفعل «لؤي» لحظة، قبل أن يصده «ماهر» بعنف وثقة، فهابه «لؤي» وجلس كما أمره «ماهر» بإشارته، بينما اقترب «نور» من «أحلام» قائلًا:

- إزيك يا «أحلام»؟

لم تجب «أحلام»، ليتابع هو:

أنا «نور»، فنان تشكيلي، ودول أهلي اللي طردتك قدامهم، عشان كنت عيان، قبل ما أخف على إيديكي، عشان كده، ملقتش مكان أحسن من هنا عشان أعتذرلك فيه، وملقتش أحسن منهم عشان أكبرك قدامهم، زي ما كبرتيني، قدام صحابك.

قالها مشيرًا إلى «لؤي»:

- إزيك يا «لؤي»؟

- أهلًا أهلًا.

أجاب «لؤي» وحاول الوقوف مادًا يده، قبل أن ينهره «ماهر» في حزم ليجلس، ليكمل «نور»:

- أنا عارف إن اللي بيغلط غلطه صغيره، بيغلط في الكبيره، بس برضه مش عيب لما نغلط نصلح غلطتنا، أنا آسف مره



تانيه قدام كل أهلي، وعايز أطلب منك طلب أخير.

ظل الضيق ظاهرًا على «أحلام»، قبل أن يجثو «نور» على ركبتيه مخرجًا خاتمًا من الألماس:

- تقبلي تتجوزيني؟

- لأ يا «نور»، مش عايزه أتجوزك.

بعصبية قالتها، ثم تابعت تعنيفها:

- مش بكيفك، أنا عملتلك كل حاجه عشانك، أنا مش قليله، ولا رخيصه، أنا مابقتش صغيره.

وقف «نور» منكسرًا وسط شماتة «لؤي» قبل أن تتدخل «إنتصار»:

- لأ صغيره يا بنت.

- يا طنط....

- بلا طنط بلا بتاع، وطي يا واد يا «نور» وقفت ليه؟!

بتعنيف أمومي قالتها «إنتصار»، ليعود «نور» جاثيًا على ركبته في سعادة، قبل أن يتدخل «فضل»:

- اسكتي إنتي يا «إنتصار»، ده كلام الرجاله، تسمحيلي يا بنتي أطلب إيدك لإبني «نور»؟

دمعت «أحلام» للتو قبل أن تظهر «فرح» من جانب «دلال» التي كانت مسؤولة عن تربيتها منذ غياب «ذكرى».

- وافقي بقى يا طنط، أنا نفسي أعيش معاكي.



جثت «أحلام» محتضنة الطفلة، بينما تأثر «ماهر» هو الآخر ونظر إلى زوجته في فخر، فلقد لاحظ للتو جمالها، قبل أن يسمع رنين هاتفه، ليخرجه بسرعة لإيقافه حتى لا يفسد تلك اللحظة، قبل أن يبتسم عند رؤية اسم تلك المريضة المتصلة التي كان ينتظر مكالمتها، فلقد كانت «حنان» تمتلك حنانًا مختلفًا عن الجميع!

- يا حبيبتي أنا اللي نفسي أعيش معاكي.

قالتها «أحلام» وهي تحتضن «فرح».

- يعني موافقه؟

- طبعًا.

- طبعًا.... اللي هي، طبعًا..... طبعًا!!

قالها «نور» غير مصدق، لتضيف هي ساخرة:

- أيوه يا «نور»، طبعًا... طبعًا...

يقف «نور» ليحتضنها، وسط تهليل الجميع، مع ضيق «لؤي» الذي ينظر له «ماهر» في حدة قائلًا:

- زغرد ياض.

- لأ مش هازغرد.

- إنت في بيتي وهاتزغرد.

- لأ أنا مابعرفش أزغرد، وبعدين أصلًا صوتي وحش.

- برضه هاتزغرد.



«كانت تلك النهاية مع علو صوت الزغاريد التي تخللت صوت البحر في أذهاني، نعم لقد كانت النهاية سعيدة، فلقد بكيتُ بما فيه الكفاية، لقد اخترت طريقي وكتبته لأعيشه بكل ثقة ورضا، لقد تزوجنا بالفعل، وقد تعلمت من دروسي ولم أغَر قط من زوجتي «أحلام»، بل كنت لها سندًا في فنها كما ساندتني، كانت تلك العلاقة التي قبلت دفع ثمنها منذ البداية، استطعت أن أفتح فرعًا واحدًا من معارض أبي، ولكنه كان ناجحًا بما يكفي، أوقفت استيراد المفروشات وأنتجتها من تصميمي؛ الأمر الذي آمنت به، عكس والدي، فكلانا عشق الموبيليا، ولكن لكل مقام مقال، اليوم أستطيع الرسم من داخل معرضي الذي يديره «أنس» محاسب والدي، والذي تزوج أخيرًا من المرأة التي عشقها منذ البداية، فلقد كان مسامحًا بالفعل، الآن الجميع صار يعرف اسمي، «منيرًا» «مضيئًا»، هذا الاسم الذي كنت أحجبه عن الكثير، وإن كان ذا صلة، فلقد حققت ما لم يحققه أي رسام عربي، فلقد كانت تلك عقيدتي وهذا إيماني، وحسابي سيظل عند خالقي، أجهل ما هو جزاء فني، ولكني أطمع في رحمة خالقي، فهو من وهبني ملكتي، وها أنا أساعد من يحتاج بكل علومي التي أمتلك، حتى دراستي بعلم النفس، أنفع بها غيري دائمًا علها تشفع لي عند خالقي! كما وهبني طفلة أخرى أصرت «أحلام» على تسميتها «ذكرى»؛ الأمر الذي أفرح أختها «فرح» التي نالت أخيرًا نصيبًا من اسمها، ولقد عشنا في هذه الفيلا الفخمة الخالية من كل ما يمنع الحياة، فلا نمتلك هواتف أبدًا، هذه حياتنا نعيشها دون استهتار لأهدافنا، ولا نسمح لأي مغتصب لوقتنا؛ لذا صار الوقت يمر ببطء، حتى كدنا نعتقد أن الزمن قد



توقف عندنا. سنوات طويلة من الاحتواء قضيتها في أحضان «أحلام» التي أحبت كل شخصياتي: المتحمس، والمتفائل، والمتشائم، والعطوف والقوي، وغيرها محتوية كل منها عدا تلك الشخصية المنيرة في داخلي، والتي كانت تبحث دومًا عن الخيانة كلما ظهرت على السطح، فتلك علتي وكانت تلك قصتي أنا «نور» هذا الاسم المستوحى من الضياء، دونتها بكل سقطاتها ونجاحاتها داخل تلك الأجندة الحمراء التي ظلت في مكتبي؛ آملًا أن يقرأها يومًا من آمن برسالة القديس وحكايته، فلم تكن أبدًا إلا مجرد كلمات وحبر على ورق».

النهاية

«نور الجارحي»



حلم واقع

بعد سنوات طويلة من السعادة جلب شيء ما «نور» إلى الدكتور «ضياء» مرة أخرى، بعدما أثار شيء ما حفيظته ليظل هناك أمام «ضياء» جالسًا في شك وتوتر ممسكًا أجندته الحمراء الساحرة، وقد أصبح أكبر سنًّا حيث صار يرتدي نظارة طبية، بينما من أمامه كان «ضياء» يدخن سيجاره في قلق، فلم يكن يتوقع هذه الزيارة بعد كل تلك السنوات، ليتساءل في تحفظ:

- إيه اللي جرى يا «نور» بعد السنين دي كلها؟ أنا عارف إنك مبسوط ومستقر!

ظل «نور» يحرك رجله في توتر مقلق، ثم صرَّح قائلًا لطبيبه في شك:

- أنا بخون «أحلام»!

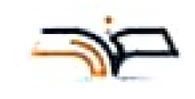
توتر «ضياء» وهو يُعدِّل من جلسته خلف مكتبه وهو يخطف نظرةً إلى خارج نافذته المطلة على الحديقة حيث كانت حبيبته الشقراء هناك معطية إياه ظهرها، انتظر لحظة علها تلتفت إليه، ولكنها ظلت ساكنة كعادتها:

- يا دكتور بقولك بخون «أحلام»!!

- إزاي يعني وإمتى؟!

- بخونها كل ما بتطلع من البيت.

تعجب «ضياء» قبل أن يسترسل «نور» في كلماته:



- كل يوم وكل ساعه، كل لحظه بتدينى فيها ضهرها.

- مش مبالغه دي يا «نور»؟!

- لا يا دكتور، كل لحظه بتغيب فيها «أحلام» عن الفيلا وتسيبني لوحدي، بلاقيها هناك في الجنينه مستنياني، بقعد معاها بالساعات، مابسيبهاش غير لما «أحلام» بترجع.

- وهي مين دي اللي موجوده ٢٤ ساعه كده؟

- «ذكرى» يا دكتور.

تنهد «ضياء» الذي كان يعلم بعلة «نور» قائلًا:

- بس إنت عارف إن «ذكرى» ماتت يا «نور» وبقت فعلًا ذكرى.

- عارف يا دكتور، بس مش قادر أنساها.

- طيب بس مبدئيًا كده دي مش خيانه يا «نور»، ده وفاء، كونك بتشوف حبيبتك لغاية دلوقتي في خيالك، ده مايعيبكش، وأحب أطمنك إنه كمان مش مرض، طالما عارف تميز بين الحقيقه والخيال.

ابتسم «نور» وضحك بصوت مخيف وهو يلقي بأجندته الحمراء أمام الدكتور «ضياء» الذي توتر فور رؤيتها.

- كويس إنك بتسأل أنا جيت ليه يا دكتور؟ أنا فعلًا مابقتش عارف أميز بين الحقيقه والخيال.

زاد قلق «ضياء» الذي تمنى ما إذا كان «نور» قد جاء من أجل «ذكرى» ولكنه كان يعلم أن «نور» فقط يختبره، ليتساءل



وهو يجفف عرق جبينه:

- وضح أكتر.

- إحنا سنة كام يا دكتور؟

- خش في الموضوع يا «نور».

بتوتر شديد هرب «ضياء» من السؤال.

- من أكتر من عشر سنين بعد موت «ذكرى» كتبت في الأجنده دي كل أحلامي يا دكتور.

- عظيم.

- كنت ساعتها قاعد على البحر في «دهب».

- عظيم.

- لأ مش عظيم يا دكتور، تقدر تقولي إزاي أنا عشت كل حاجه اتمنتها من عشر سنين بالحرف الواحد؟

اقترب «ضياء» من المكتب ليبدأ محاضرته في التنمية البشرية التي آمن بمعتقداتها:

- يا «نور» اللي بيصدق في حلمه، ربنا بيساعده على تحقيقه، طالما الحلم كان محدد وواضح ومنطقي وليه مده زمنيه مكتوبه، وده اللي إنت كتبته بإيدك وحققهولك ربنا.

كاد «نور» أن يصدق الرجل قبل أن يضيف:

- وربنا عدل يا «نور» ما بيزرعش جوانا حلم غير وعارف إننا ممكن نحققه.



- ده كلام «أحلام» مراتي، إنت عرفته إزاي؟

تساءل «نور» في شك، ليجيبه «ضياء» كاذبًا:

- أكيد إنت قلتهولي في يوم، هو مش أنا دكتورك برضه؟ وبعدين ده كلام عام.

- طيب ليه أنا حاسس يا دكتور إن الأيام مش بتمشي؟!

- يا «نور» كفايه أسئله.

قالها «ضياء» بعصبية قبل أن ينتبه لصوت البحر، فيقول «نور» بسرعة:

- لأ مش كفايه، ليه أيامي مش بتمشي؟ وليه صوت البحر لسه في وداني؟ إنت سامعه زيي؟

- وهو إيه اللي هايجيب البحر هنا بس يا «نور»؟

انتبه «نور» للتو للمكان، فلقد كان في غرفة «ضياء»، ولكنه لم يلحظ إلى الآن التشابه بينها وبين غرفة مكتبه في فيلته، قبل أن يرمق تلك اللوحات المعلقة خلف «ضياء» لوحات ثلاث رسمها هو منذ زمن بعيد: لوحة «ذكرى» ولوحة «أحلام» تتوسطهما لوحة «الخائن»:

- هو أنا إيه اللي جاب لوحاتي عندك؟!

- دول نسخه تانيه.

- أنا معملتش من اللوحات دي نسختين يا «ضياء».

قالها «نور» وقد فطِنَ إلى تشابه أسمائهما للتو قبل أن يعلق:



- أنا مش فاهم حاجه، هو أنا وإنت!!!

لم يجب «ضياء»، ليكمل «نور» تساؤلاته:

- هو إنت في خيالي، ولّا أنا اللي ماضي في خيالك؟! جاوبني.

دمع «ضياء» ليخلع نظارته الذهبية وليكرر «نور»:

- أنا شوفتك يوم فرحي، هو.... هو أنا لسه على البحر؟!

تساءل «نور» وهو يتلعثم، ليكمل في صعوبة:

- هو أنا حققت فعلًا كل اللي أنا كتبته، ولّا هو أنا ممكن أكون عايش في مجرد خيال وحبر على ورق؟!

هرب «ضياء» بنظراته إلى حبيبته قبل أن يتابع «نور» في قلق:

- مش مهم، المهم هي «أحلام» مراتي فعلًا ولّا لأ؟! رد عليا، طمني، قولي إني هارجع البيت وهلاقيها، قولي إنها مش أحلام، رد عليا.

- يا «نور» مش معنى إنك سعيد، إنك بتحلم، ساعات الواقع بيكون أحلى من الأوهام.

- بص في عيني وقولي إني لو رجعت البيت هلاقي «أحلام».

- طب ليه ماتروحش وتشوف بنفسك؟

قالها «ضياء» فنهض «نور» واقفًا من فوره وهرع خارج الفيلا، تاركًا إيّاه وحيدًا كعادته، وليمسك الأخير بتلكم الأجندة



الجلدية الحمراء الساحرة التي ابتاعها «نور» من معرض أنتيكات منذ سنوات بعيدة، عندما قص عليه البائع تلك القصة الأندلسية التي كُتبت في تلك الأجندة ليعيش فيها الشخوص حياة واقعية! تبسَّم «ضياء» وهو يتحسس الكلمات المدونة داخلها مستذكرًا كلمات «ذكرى» وليسمعها الآن تهمس في ذهنه قائلة:

«قصة حب اتخلدت، لأن كل شخصيه اتكتبت على الورق ده بتعيش».

ابتسم «ضياء» وترك سيجاره في الغرفة، ثم أمسك هذه الأجندة ليخرج بها إلى حبيبته الشقراء الجالسة هنالك على الأريكة الخشبية في حديقة فيلته، فيبلغها بعد عدة خطوات ليجلس بجانبها وحيدًا على أريكةٍ خاليةٍ من أحدٍ سواه!!

بينما كان «نور» قد وصل إلى بيته في تلك اللحظة التي خرج فيها من عند «ضياء» بسرعة فائقة زادت من شكوكه، وفي صالة المدخل لمح غرفة مكتبه على اليسار، فدخلها في رهبة، كانت خالية إلَّا أنَّ دخان السيجار كان لا يزال يملأُ المكان يغازل تلك اللوحات التشكيلية الأصلية الثلاث من رسم يده، تتوسطها لوحة «الخائن» بين لوحة الراحلة «ذكرى» و«أحلام»، دمعت عينه رافضًا الحقائق، ثمَّ تراجع بضع خطوات خارجًا من غرفة مكتبه، ليعود إلى فيلته بيضاء اللون، حال المفروشات والأرضية الخشبية، ثم صعد كالمجنون على هذا السلم الحلزوني باحثًا عن زوجته «أحلام» في كل مكان، ليتأكد من حقيقة حلم واقع كاد يفتك بعقله، لحظات مرت كالدهر ونبضات قلبه تتصاعد، فلقد بات يشك في واقعه،



يهاب من تلك الفرضية بعدم وجودها في غرفته، خاف تصديق هذا الشك من كونه لا يزال هناك على الشاطئ ولم يحقق أي شيء بعد، وأن كل ما عاشه من بعد وفاة «ذكرى» هو مجرد تلك الكلمات التي كتبها على البحر، شك أنه لم يتزوج «أحلام»، ولم ينجح في حياته، وأنه يعيش مجرد تلك الأمنيات، فبقدر نجاحه شعر بأنه قد يكون مجرد حلم، ولكنه أيضًا كان يؤمن أن المرء يستطيع الوصول إلى أحلامه؛ طالما أنه دوَّنها وكتبها... وقد فعل، لذا للحظة هدأ، ولكنه ظل ينتظر رؤيته ل»أحلام» داخل غرفته ليطمئن قلبه، أن حاضره واقع، وليس مجرد حبر على ورق، وأنه لن يبقى وحيدًا عمره المُقبِل؛ يجالس «ذكرى» في الخيال، رفض الآن تلك الفرضية، واستعاد ثقته بنفسه، من أمام غرفته و«أحلام» ليقترب إليها شيئًا فشيئًا ناحية هذا الباب الذي سيرشده إلى حقيقة حلمه من واقعه، وقف والخوف يقتله من الحقيقة التي باتت على بعد خطوات خلف عتبة هذا الباب، فهل حقًّا هي هناك كما كتب؟! أم أنها كانت مجرد خيال كما تمنى، ومجرد حبر على ورق؟! لامس مقبض الباب باحثًا عن الحقيقة قبل أن يسمع صوت «أحلام» من الداخل:

«مش مهم الحقيقه يا «نور»

هو لو حلم هانعيشه كأنه حقيقة».

ابتسم للحظة حين سمع صوتها مطمئنًا، قبل أن يتساءل ما إذا كانت تهمس إلى عقله حال «ذكرى»، وأنها مجرد حلم، أم أنها بالفعل بالداخل حقيقةً وواقعًا، لحظةٌ مرَّت كالدهر وهو يُحكم قبضته على مقبض الباب مستمتعًا بصوت البحر،



ليتذكر كلماتها، ويكررها أخيرًا:

«ولو علم هانعيشه كأنه حلم».

قالها ثم فتح هذا الباب مشاهدًا ذاك المشهد الخلّاب الذي توقعه بالفعل، ومدى أثره في نفسه، ليبتسم هادئًا؛ فلقد كان بالفعل»حلم واقع».

***

«أحمد عثمان»

«لكل أجلٍ كتاب، ولكل وعدٍ ميعاد»

تمت بحمد الله الواحد الأحد.



إليها (هي) من علمتني الخيانة والوفاء وفن الاختيار!



شكر وتقدير

أمي وأبي..

إخوتي وزوجتي وأولادي

عملائي الكرام وقرائي الأعزاء

شادي صبرة..محمد

كامل

نور محمود..مارك

إبراهيم

دارين أحمد...شريهان

صلاح

محمد أسامة...أحمد

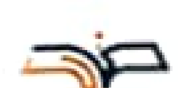
حسن

عيد إبراهيم..بولا

سامح

سعيد سعداوي..علي

قطب



محمد مجدي حمدي...............

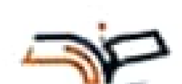
..........................بدر

رمضان

علا يوسف.........................

...........................إيلاريا

منسي



أحمد عثمان

مواليد القاهرة ١٩٨٢، تخرج في كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية، جامعة حلوان ٢٠٠٤، ليبدأ مشواره الاحترافي في مجال التصميم المعماري والديكور، متخصصًا في المجال السكني، حتى استقر فترة في «باريس» وأنشأ شركة «ريني» للعمارة والديكور، ومن ثم عاد إلى القاهرة مفتتحًا فرعها الثاني في حي التجمع الخامس بالقاهرة الجديدة.

درس كتابة السيناريو على يد المخرج الراحل «إبراهيم الشقنقيري» وعمل معه في بعض أعماله في بداية الألفينات، ثم ابتعد فترة طويلة حتى عاد لدراسة السينما في باريس عام ٢٠١٥، قبل أن يتخذ من الأدب الروائي طريقًا له بجانب الديكور والهندسة المعمارية، نجح في تصدر قائمة الأعلى مبيعًا لدار نشر إبداع على مدار أربع سنوات متتالية، ومنها إلى مراكز متقدمة في المكتبات، أصدر فيها للكاتب خمسة أعمال روائية:

«لمسة مليكا»، و»الوحي»، و»لَ نوفيلا»، و»القديس»، و»١٠ ٣١»

وقع الكاتب منها عملين للدراما، الأول عن عمله الروائي «الوحي» مع المنتج المرموق «د. خالد حلمي»- شركة «راديو وان» لعمل مسلسل درامي، ومن ثم التعاقد الثاني مع المنتج الوقور «أحمد عبد العاطي»- شركة «آرت ماكرز» لعمل مسلسل تليفزيوني عن عمله الرابع «القديس» المتوقع صدوره



٢٠٢٢، من بطولة النجم العالمي «خالد النبوي»، وأخيرًا ظهر للنور عمله السينمائي الأول فيلم «قبل الأربعين» في فبراير ٢٠٢١، محتلًا وصافة الشباك رغم جائحة كورونا، الفيلم بطولة «بسمة»، و»داليا مصطفى»، و»إيهاب فهمي»، و»هالة فاخر»، و»أحمد حلاوة» مع باقة من النجوم ومن إنتاج «شادي صبرة – شركة بروماكس، كما وقع مع نفس الشركة عملًا سينمائيًا جديدًا باسم «فلاش باك» عن عمله الروائي الجديد بعنوان «الخائن»، كما تم إصدار سلسلة ورقية للكاتب باسم «حلمي مهران» صدر منها عدد أول، وجاري نشر عدده الثاني والثالث في معرض الكتاب ٢٠٢١، كما بدأ الكاتب معالجة السلسلة دراميًا من أجل عرضها على منصة إلكترونية عن قريب.

www.AhmedOsman.com

Ask@AhmedOsman.com





"الخائن" كانت لوحته الأهم في هذا المعرض والتي كان "نور" يتباهى برسمها بريشته الجريئة، وفي تلك اللحظة تأكد من فحواها، فلم تكن إلا انعكاسًا لأفعاله؛ إذ فيها دوّن مشاعره المتناقضة من متعةٍ تولّدت من رحم الآلام والمعاناة، احتياجٍ مصحوب بنقصٍ يُذل الضمير الذي يكافح للاستيقاظ، دمعت عيناه وهو يرمق ما رسمت يداه الشاهدة على ما فعله، لقد صار خائنًا محترفًا.

وسط معرض لوحاته وقف في ندم يندهش من سماعه صوت زوجته "ذكرى" تهمس داخل عقله.

"أنا آسفه يا "نور".. النهارده أنا مضطرة أكتب نهاية قصتنا"

تلك كانت الفاتورة : فالبشر لا يتخلون عن واقعهم بالسهولة التي يتخلّون بها عن أحلامهم!

مستوحاة من أحلام واقعية



أحمد عثمان

مواليد القاهرة 1982، تخرج في كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية، جامعة حلوان 2004، ليبدأ مشواره الاحترافي في مجال التصميم المعماري والديكور، في "القاهرة" و"باريس" درس كتابة السيناريو، قبل أن يشق طريقه في الكتابة الروائية، فنجح في تصدر قائمة الأعلى مبيعًا من بين كل منشورات إبداع، ومنها إلى مراكز متقدمة في المكتبات الكبرى، على مدار أربع سنوات متتالية أصدر خلالها خمسة أعمال روائية "لمسة مليكا"، و"الوصي"، و"آل نوفيلا"، و"القديس"، و"10 31" وسلسلة "حلمي مهران" كما أنتج للكاتب فيلم "قبل الأربعين" من تأليفه، وتم عرضه في دور العرض في عام 2021 ليحظى بمدح كبير من قبل النقاد والممثلين بعد عرضه

www.ahmedosman.com
ask@ahmedosman.com



